

تعريف التفسير الموضوعي

«التفسير الموضوعي» مركب من كلمتين.

أما «التفسير» فقد سبق أن تكلمنا على تعريفه، فهو علم يختص بحُسن فهم معاني القرآن، وبيانها وتوضيحها.

وأما «الموضوعي» فإنه نسبة إلى الموضوع، والموضوع مشتق من الوضع.

«والوضعُ: جعلُ الشيء في مكانٍ ما، سواء كان ذلك معنى الحطِّ والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان...».

الأول: وَضَعُ مَادِي حَسِيٍّ، ومنه: وَضَعُهُ عَلَى الْأَرْضِ، بمعنى حطه وإلقائه وتثبيته عليها.

الثاني: وضع معنوي، ومنه: الوضع، وهو الدنيء المهان الذليل، الذي قعدت به همته أو نسبه، فكأنه ملقى على الأرض، موضوع عليها، لا يفارق موضعه الذي التصق به. والنوعان يلتقيان على البقاء في المكان وعدم مغادرته.

وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي، لأن المفسر يرتبط بمعنى معين، وموضوع محدد من موضوعات القرآن، يبقى معه، ولا يتجاوزها إلى غيره حتى يفرغ منه^(١).

(١) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي لأستاذنا الدكتور مصطفى مسلم: ١٥.

مصطلح «التفسير الموضوعي» مصطلح معاصر، استخدمه المفسرون والباحثون المعاصرون، وأطلقوه على الأبحاث والدراسات التي تتناول موضوعاً من موضوعات القرآن

وبما أنه مصطلح معاصر، فقد أورد من كتبوا فيه عدة تعريفات له، منها ما هو مختصر، ومنها ما هو مطول، ومنها ما ينطبق على لون من ألوان التفسير الموضوعي، ومنها ما ينطبق على أكثر من لون.

وقد أورد أستاذنا الدكتور مصطفى مسلم خمسة تعريفات معاصرة لهذا المصطلح.

ومال الأستاذ مسلم إلى ترجيح التعريف الذي يقول: «التفسير الموضوعي: هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية، من خلال سورة أو أكثر»^(١).

ومن التعاريف التي أوردتها الأستاذ مسلم:

«وعرفه بعضهم بقوله: هو جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن، المتعلقة بالموضوع الواحد، لفظاً أو حكماً، وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية».

إن التفسير الموضوعي علم، له قواعد وأسس وأصول، وله منهج وطريقة يلتزم بها الباحث. وسنفصل ذلك فيما بعد إن شاء الله.

يقوم الباحث بجمع الآيات التي تبحث في موضوع واحد، أو مصطلح واحد، من مختلف السور، سواء كانت هذه الآيات تتحدث عن نفس المصطلح، أو تتحدث عن مصطلحات وألفاظ مقاربة له، وهذا معنى قوله: «لفظاً أو حكماً».

وبعد ذلك يقوم الباحث بتفسير هذه الآيات تفسيراً موضوعياً وليس تفسيراً تحليلياً، وذلك حسب المقاصد القرآنية، ليحقق مقاصد القرآن وأهدافه الأساسية، من خلال بحثه الموضوعي في تلك الآيات.

(١) انظر مباحث في التفسير الموضوعي: ١٦.

مدى أهمية التفسير الموضوعي

التفسير الموضوعي هو تفسير هذا العصر، وهو تفسير المستقبل أيضاً، وله أهمية كبرى عند المسلمين، وحاجتهم إليه ماسة.

وهذا التفسير الموضوعي يحقق للمسلمين فوائد عديدة، من حيث صلتهم بالقرآن الكريم، وتعرفهم على مبادئه وحقائقه، ومن حيث تشكيل تصوراتهم وتكوين ثقافتهم، ومن حيث عملهم على إصلاح أخطائهم، وتكوين مجتمعاتهم، ومن حيث حسن عرض القرآن والإسلام على الآخرين، والوقوف أمام الأعداء والمخالفين!

وفيما يلي بيان مدى أهمية التفسير الموضوعي لنا:

١- التفسير الموضوعي من العوامل الأساسية في حل مشكلات المسلمين المعاصرة، وتقديم الحلول لها على أساس القرآن، فمن المتفق عليه أن مسلمي هذا العصر يعانون من مشكلات خطيرة عديدة، ومن المتفق عليه أيضاً أن حل هذه المشكلات أساساً في القرآن. وعندما يبحث الباحثون في التفسير الموضوعي، فإنهم يقدمون للمسلمين الحلول القرآنية لمشكلاتهم العديدة.

٢- التفسير الموضوعي وسيلة ضرورية منهجية لتقديم القرآن تقديماً علمياً منهجياً لإنسان هذا العصر، وإبراز عظمة هذا القرآن، وحسن عرض مبادئه وموضوعاته، واستخدام المعارف والثقافات والعلوم المعاصرة وسيلة وأداة لهذا العرض.

٣- التفسير الموضوعي كفيلاً يبين مدى حاجة الإنسان المعاصر إلى الدين عموماً، وإلى الإسلام والقرآن خصوصاً، وإقناعه بأن القرآن هو الذي يحقق له حاجاته ومتطلباته.

(١) انظر: بعض هذه الأسباب في «المدخل إلى التفسير الموضوعي» للسعيد: ٣٤-٣٩.

- ٤- يقوم العلماء والباحثون بالوقوف أمام الأعداء، وتفنيد أفكارهم الجاهلية، وذلك عن طريق التفسير الموضوعي.
- ٥- يتم عرض أبعاد ومجالات وآفاق جديدة لموضوعات القرآن، عن طريق التفسير الموضوعي، وهذه الأبعاد الجديدة لموضوعات القرآن تزيد إقبال المسلمين على القرآن، وتوثق صلتهم به.
- ٦- بالتفسير الموضوعي تظهر الحيوية الواقعية للقرآن، وتتحقق المهمة العلمية الحركية للقرآن، فلا ينظر الباحثون إلى موضوعات القرآن على أنها موضوعات قديمة، نزلت قبل خمسة عشر قرناً، وإنما يعرضونها في صورة علمية واقعية، تناقش قضايا ومشكلات حية، وتهتم بمسلمين أحياء متحركين. وهذا هو البعد الحي للقرآن الكريم.
- ٧- التفسير الموضوعي يتفق مع المقاصد الأساسية للقرآن، ويحقق هذه المقاصد والأوليات القرآنية في حياة المسلمين.
- ٨- التفسير الموضوعي أساس تأصيل الدراسات القرآنية، وعرضها أمام الباحثين عرضاً قرآنياً علمياً منهجياً، وتصويب هذه الدراسات، وحسن تخليصها مما طرأ عليها من مشارب وأفكار غير قرآنية.
- ٩- التفسير الموضوعي يعيد توثيق الصلة القرآنية لمختلف العلوم الشرعية الإسلامية، ويعرض هذه العلوم الشرعية على أساس توجيهات وحقائق القرآن، وبه يتم إلغاء كل ما لا يتفق مع القرآن من هذه العلوم.
- من هذه العلوم: العقيدة، والبلاغة، والنحو، والتاريخ، والقصص، والأحكام الشرعية، والأحوال الشخصية.
- ومنها أيضاً: علوم الاقتصاد والسياسة والاجتماع والثقافة والحضارة.
- ١٠- بالتفسير الموضوعي يتم تقديم مناهج الدعوة والحركة والإصلاح، ويتعرف الدعاة والعاملون للإسلام على حقائق القرآن في فقه الدعوة والجهاد والتغيير.

١١- التفسير الموضوعي أساس التأصيل القرآني للعلوم والموضوعات والمعارف الإنسانية والحضارية المختلفة، التي يُقبل عليها المثقفون في هذا العصر، كعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التربية، والثقافة، والحضارة، والإنسانية، والتقدم.

ويقدم الباحثون للمثقفين المعاصرين رؤية قرآنية موضوعية واضحة لهذه العلوم المعاصرة، ويكون هذا من أهم الوسائل الموضوعية العلمية في الدعوة إلى الإسلام والقرآن!

١٢- بالتفسير الموضوعي يتم توسيع دلالات ومضامين الآيات القرآنية، وإضافة الأبعاد والمعاني الجديدة إليها، التي قد لا يلتفت لها السابقون من المفسرين، ولا يجدها القارئ في كتب التفسير الموضوعي.

١٣- بالتفسير الموضوعي ينفذ الباحثون أمر الله لهم بتدبر القرآن، وإمعان النظر فيه، وإحسان فقه وفهم نصوصه وتأويلها.

١٤- بالتفسير الموضوعي يصل الباحثون إلى الغاية من الآيات والموضوعات القرآنية والتفاسير السابقة الموضوعية التحليلية هي وسيلة إلى هذه الغاية، وتمهيد لهذه النتيجة.

١٥- التفسير الموضوعي هو الوسيلة المنهجية العلمية للارتقاء بمستوى التفكير العلمي الموضوعي عند الباحثين، فمن خلال البحث في موضوعات القرآن يقوم الباحث برياضة عقلية عملية، يشحذ بها ذهنه، ويمرّن بها عقله، ويدرب بها نظراته، وبذلك يرتقي في عالم التفكير الموضوعي، فيكون مفكراً قرآنياً، وباحثاً موضوعياً.

١٦- الدراسات والمؤلفات في التفسير الموضوعي محدودة، وحجمها صغير، عندما تقاس بالمجلدات في التفسير الموضوعي التحليلي، فيمكن إصدار كل موضوع قرآني في كتاب، وهذا أدعى إلى الإقبال عليه، وقراءته بيسر، واستيعاب أفكاره.

كذلك يسهل الأمر في التفسير الموضوعي على المؤلف نفسه، فيمكنه خلال فترة زمنية محددة إعداد دراسة متكاملة حول موضوع قرآني معين، وإذا أتمه انتقل إلى موضع آخر جديد، بينما لا يتحقق هذا له إذا أراد تفسير القرآن كله تفسيراً تحليلياً موضوعياً، وقد يموت هذا العالم قبل الانتهاء من تفسيره التحليلي!!^(١).

(١) انظر بعض هذه النقاط في: المدخل إلى التفسير الموضوعي للسعيد: ٤٠-٥٥. و: مباحث في التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم: ٣٠-٣٣.

ألوان التفسير الموضوعي

ألوان التفسير الموضوعي ثلاثة:

- ١- التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني.
- ٢- التفسير الموضوعي للموضوع القرآني.
- ٣- التفسير الموضوعي للسورة القرآنية^(١).

وفيما يلي تعريف بكل لون من هذه الألوان الثلاثة، مع التمثيل له بأمثلة من دراسات المعاصرين.

المطلب الأول

التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني

يختص هذا اللون بالمصطلحات والمفردات القرآنية، حيث يختار الباحث لفظاً من ألفاظ القرآن، ورد كثيراً في السياق القرآني، فيتبعه في السور والآيات، ويلحظ اشتقاقاته، وتصاريفه المختلفة، وينظر في الآيات التي أوردته مجتمعة، ويستخرج منها الدلالات واللطائف والحقائق.

ومصطلحات القرآن التي تصلح لهذا اللون من التفسير الموضوعي كثيرة، مثل: السلم، الجهاد، الأمة، العدل، الأمانة، المنافقون..

وعند علمائنا السابقين بدايات تصلح أن تكون «كبنات» أولية، لهذا اللون من التفسير الموضوعي، يمكن للباحث المعاصر أن يستفيد منها، ثم يضيف عليها إضافات كثيرة.

(١) انظر كلام الدكتور مصطفى مسلم لهذه الألوان في «مباحث في التفسير الموضوعي»: ٢٣-٢٩.

وفي مقدمة هؤلاء الإمام الراغب الأصفهاني، في كتابه الفذ «مفردات ألفاظ القرآن». ومنهم الخطيب الدامغاني في «إصلاح الوجوه والتظائر في القرآن». والسمين الحلبي في «عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ».

ويعتمد الباحث في إحصائه واستقرائه لاشتقاقات وتصريفات المصطلح القرآني على «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن» لمحمد فؤاد عبد الباقي.

ومن الأمثلة على هذا اللون، الدراسات التي أصدرها أستاذنا الدكتور أحمد حسن فرحات، لبعض مصطلحات القرآن. مثل: «الخلافة في الأرض»، و«الذين في قلوبهم مرض». وجعل الدكتور فرحات دراساته تحت عنوان «بحث قرآني وضرب من التفسير الموضوعي».

وعندما تلقي نظرة على مباحث كتاب «الأمة في دلالتها العربية والقرآنية» للدكتور أحمد حسن فرحات، فإننا ندرك طريقة بحث هذا اللون من التفسير الموضوعي.

لقد اختار الدكتور فرحات بحث مصطلح «الأمة» في القرآن، فنظر في ورود «الأمة» في الآيات القرآنية، ثم ذهب إلى كتب اللغة، لاستخراج معنى الأمة منها.

وتكلم في هذا الموطن عن المباحث التالية: أصل المعنى اللغوي للأمة، الاشتقاق اللغوي، الأمة بمعنى الجماعة، الأمة بمعنى الدين، الأمة بمعنى الرجل المنفرد، الأمة بمعنى الحين أو الزمن، نظرة جديدة تربط هذه المعاني.

ثم نظر الدكتور فرحات في استعمال القرآن لمصطلح الأمة، وتكلم عن المباحث التالية: الأمة في القرآن بمعنى الجماعة، وقد عرض القرآن ستة أصناف من الجماعات، كل صنف يُطلق على أفراد أمة، واستشهد الدكتور على هذا بآيات القرآن: الجماعة من كل حي، الجماعة من الناس، الجماعة من الناس على دين واحد، الجماعة من الناس التي لها رسول واحد، الجماعة المسلمة المتبعة لمحمد ﷺ، الجماعة من العلماء.

ثم تكلم عن الأمة في القرآن بمعنى الملة والدين، وبمعنى الرجل المنفرد الذي لا نظير له، وبمعنى الحين أو الزمن، واستشهد على كل ذلك بآيات القرآن.

ثم انتقل الدكتور فرحات للحديث عن المعنى الإسلامي للأمة، وتوفر المعنى القرآني والإسلامي في الأمة التي شكّلها الرسول ﷺ من المهاجرين والأنصار في المدينة. واستخلص من ذلك حقائق بارزة.

وعرّج الدكتور بعد ذلك على العناصر الأربعة لتكوين الأمة في المفهوم الغربي، وهي: العرق، والأرض، والتاريخ، واللغة. ونقد هذه العناصر نقداً إسلامياً علمياً، وبين سر استبعاد الغربيين للدين في تكوين الأمة.

وختم الدكتور فرحات بحثه ببيان تحقق معاني وأبعاد «الأمة» في القرآن، في الأمة المسلمة، التي أخرجها الله للناس، وجعلها الأمة الوسط، فصارت هي الترجمة العملية الواقعية للأمة، كما عرضها القرآن.

إن كتاب الدكتور أحمد حسن فرحات «الأمة في دلالتها العربية والقرآنية» هو خير مثال للتفسير الموضوعي للمصطلح القرآني.

وقد بدأت إصدار سلسلة لهذا اللون من التفسير الموضوعي، حيث أخصص لكل حلقة من السلسلة مصطلحاً من مصطلحات القرآن، أقوم فيه بتفسير ذلك المصطلح تفسيراً موضوعياً.

أصدرتُ الحلقة الأولى من هذه السلسلة بعنوان «التفسير والتأويل في القرآن» فسرتُ فيها مصطلح «التأويل في القرآن» تفسيراً موضوعياً. وفي النية متابعة إصدار حلقات أخرى من هذه السلسلة، ومن الله أستمد العون والتوفيق.

المطلب الثاني

التفسير الموضوعي للموضوع القرآني

هذا اللون من التفسير الموضوعي يهتم بموضوعات القرآن العامة، حيث يختار الباحث أحد هذه الموضوعات، وينظر في آيات القرآن التي عرضته، ويستخرج منها الدلالات المختلفة.

يختار الباحث الموضوع الذي له أبعاد واقعية إصلاحية، أو مجالات علمية تصورية، أو آفاق تربوية مسلكية، وللمسلمين المعاصرين حاجات ماسة إليه.

وعندما يختار الباحث موضوعه القرآني، يعلم أنه يبحث له يقدم خدمة علمية وتربوية وثقافية ودعوية للمسلمين المعاصرين، ويساعد على حل مشكلاتهم، ومعالجة أمراضهم، والنهوض بمستواهم.

وموضوعات القرآن التي لها هذه السمة، وتحقق هذه الغاية، كثيرة، منها: نظام الحكم من خلال القرآن، الظلم والظالمون كما تحدث عنهم القرآن، الصبر في القرآن، طريق الدعوة في القرآن، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، وغير ذلك.

وهناك فرق بين هذا اللون وبين اللون الساق:

فالباحث في التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني يبقى مع المفردة القرآنية التي اختارها، ويتابع معناها في معاجم اللغة، واشتقاقاتها وتصريفاتها في القرآن، ويلاحظ ما طرأ على وضع هذه اللفظة القرآنية من تغييرات في آيات القرآن ويحاول أن يعلل ذلك، ثم يستخرج لطائف ودلالات من سيره مع هذا المصطلح القرآني، ويلتفت إلى الدلالات العامة ذات الأبعاد الواقعية التي تهم مسلمي هذا العصر.

أما الباحث في التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، فإن بحثه أعم وأشمل من الأول، وميدانه في البحث أوسع، ووقفاته الفكرية معه أكثر، ومعالجته الواقعية لحاجات ومشكلات أمته من خلاله أوضح.

إنه ينظر في الآيات التي عرضته، والآيات الأخرى التي عرضت ألفاظاً أخرى قريبة منه، والآيات التي عرضت موضوعات تتصل به، أو تساعد على توضيحه، ويتوسع في هذه الجوانب، على حساب التحقيقات اللغوية والبيانية، واللطائف البلاغية والأسلوبية.

من أوضح الأبحاث التي تمثل هذا اللون من التفسير الموضوعي كتاب «الصبر في القرآن الكريم» للدكتور يوسف القرضاوي، وقد اعتبره الدكتور القرضاوي «من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم» كما جاء في صفحة العنوان.

جعل الدكتور القرضاوي كتابه في خمسة فصول:

الفصل الأول: حقيقة الصبر في القرآن الكريم: تحدث فيه عن ورود الصبر في آيات القرآن، وعن أنواع الصبر، وضرورته للمؤمنين، وحكمة أمر الله رسوله بالصبر، والبواعث على الصبر، وما هو الصبر المحمود الجميل.

الفصل الثاني: مجالات الصبر في القرآن، عرض فيه ستة مجالات للصبر عرضها القرآن: الصبر على بلاء الدنيا، الصبر على مشتتهات النفس، الصبر على طاعة الله، الصبر على مشاق الدعوة إلى الله، الصبر حين البأس، الصبر في مجال العلاقات الإنسانية.

الفصل الثالث: منزلة الصبر والصابرين في القرآن الكريم، تحدث فيه عن: اقتران الصبر بالقيم الروحية العليا في الإسلام، التنويه بمكانة الصابرين عند المؤمنين، وترتيب خيرات الدنيا والآخرة على الصبر.

الفصل الرابع: شخصيات صابرة ذكرها القرآن الكريم: تحدث فيه عن أربع شخصيات صابرة، وهم: أيوب، ويعقوب، ويوسف، وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام.

الفصل الخامس: ما يعين على الصبر، قدم فيه سبع وسائل تعين الصابر على الصبر، وهي: معرفة طبيعة الحياة الدنيا، معرفة الإنسان طبيعة نفسه، اليقين بحُسن الجزاء عند الله، اليقين بالفرج، الاستعانة بالله، الاقتداء بأهل الصبر والعزائم، الإيثار بقدر الله وستته.

لقد قام الدكتور يوسف القرضاوي في تفسيره الموضوعي «الصبر في القرآن» بجولة في آيات القرآن، بقي فيها مع آيات الصبر، ناظراً فاحصاً محلاً متديراً، ولم يخرج عن موضوع الصبر إلى غيره.

ومعالجة موضوع الصبر على أساس القرآن ضرورة لمسلمي هذا العصر، لأنه بالصبر الجميل المحمود، يمكن حل كثير من مشكلاتهم وقضاياهم. ولهذا قدم الدكتور القرضاوي في كتابه خدمةً جليلاً لهم، جزاه الله خيراً.

ومن الدراسات الموضوعية المعاصرة التي تمثل هذا اللون من التفسير الموضوعي، كتاب «الضالون كما يصورهم القرآن» لعبدالمعتز الجبري، و«ظاهرة النفاق وخبائث

المنافقين» لعبدالرحمن حبنكة، و«الوسطية في ضوء القرآن» و«العهد والميثاق في القرآن» كلاهما للدكتور ناصر العمر.

وقد أصدرتُ بعض الدراسات القرآنية من سلسلة «من كنوز القرآن» التي يمكن أن تكون من هذا اللون من التفسير الموضوعي، مثل: «الشخصية اليهودية من خلال القرآن» و«حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية» و«مع قصص السابقين في القرآن».

المطلب الثالث

التفسير الموضوعي للسورة القرآنية

يختار الباحث في هذا اللون من التفسير الموضوعي سورة من القرآن الكريم، وينظر فيها نظرة موضوعية متدبرة، ويقف مع آياتها وقفة مطولة، ويتعرف على موضع السورة ومقاصدها وأهدافها، وعلى الخطوط الرئيسية التي تجمع مختلف موضوعاتها الفرعية، ويخرج من ذلك بتحليل موضوعي موسع، ودراسة موضوعية متكاملة، تبدو معها تلك السورة وحدة موضوعية متناسقة.

ومن المعلوم لنا أن كل سورة من القرآن تعتبر وحدة موضوعية موحدة، ولها شخصية فريدة خاصة، وتعالج موضوعاً رئيسياً أساسياً، تندرج معه عدة موضوعات جزئية فرعية.

وقد كان لبعض المفسرين السابقين استشراف لهذا اللون من التفسير الموضوعي، وإدراك للوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، ولهم بعض التحليلات والتعبيرات حول هذا الموضوع، لكن لم يبحثوا الموضوع بمنهجية علمية، ولا على أسس موحدة، ولا يضيرهم هذا، لأننا نفهم نتاجهم وجهودهم وفق مقاييس عصورهم، ولا يجوز أن نحاكمهم إلى مقاييس عصرنا، وأن نطلب منهم ما نطلبه من علماء عصرنا.

من الذين استشرفوا الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية الإمام الزمخشري، والإمام فخر الدين الرازي والإمام القمي النيسابوري.

لكن أكثر المفسرين السابقين إدراكاً لهذا وتعبيراً عنه، المفسر الإمام برهان الدين البقاعي، صاحب التفسير الفريد: «نظم الدرر في تناسب الآي والسور». والذي اختصره في كتابه: «مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور».

لقد كان البقاعي مؤمناً بأن القرآن كله وحدة واحدة، وأن كل سورة جزء من هذه الوحدة القرآنية العامة، وأن آيات كل سورة تتناسق وتتناسب لتكوّن فيما بينها وحدة واحدة للسورة، وقد أدار تفسيره «نظم الدرر» على هذا الأساس، وقدم تحليلات رائعة.

إن البقاعي رائد في هذا اللون من التفسير الموضوعي عند السابقين، وإن كانت تحليلاته - على روعتها ونفاستها - دون مستوى ما عند المفسرين المعاصرين.

ومن المفسرين المعاصرين الذين قالوا بالوحدة الموضوعية للسورة، محمد رشيد رضا في تفسير المنار، ومحمد الطاهر بن عاشور في تفسير التحرير والتنوير، وسعيد حوى في تفسيره: الأساس في التفسير.

لكن القول بالوحدة الموضوعية لسور القرآن، كان أبرز ما يكون عند مفسرين رائدين، الأول سيد قطب في تفسيره «في ظلال القرآن»، والثاني المعلم الهندي عبد الحميد الفراهي في تفسيره: «نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان» الذي توفي قبل إتمامه حيث لم يفسّر منه إلا بعض السور.

وقد عرض المعلم الفراهي نظريته في نظام القرآن في ثلاث كتب:

الأول: في مقدمة تفسيره: «نظام القرآن» وهي مقدمة هامة جداً.

الثاني: في كتابه الفريد: «دلائل النظام».

الثالث: في كتابه الفذ: «التكميل في أصول التأويل».

وللمعلم عبد الحميد الفراهي تحليلات لطيفة في السور التي فسرها، وله آراء سديدة في الوحدة الموضوعية للقرآن.

أما تحليلات سيد قطب للسور القرآنية، وبيانه لموضوعاتها الرئيسية، فإنها في غاية الروعة والنفاسة.

عندما تقرأ تعريف سيد قطب الموضوعي للسور القرآنية، تجد عنده آراء ونظريات، وتحليلات وتطبيقات، لا تجدها عند غيره من المفسرين السابقين والمعاصرين. وأبرز ما يكون هذا في الطبعة المنقحة من «الظلال» التي وصل فيها إلى نهاية سورة الحجر.

يتكلم سيد قطب في الطبعة المنقحة من الظلال على موضوع السورة الأساسي، وعلى خطوطها الأساسية، وعلى موضوعاتها الفرعية، وعلى جو نزولها، وحالة المجتمع الإسلامي وقت نزولها، وعلى أهداف السورة ومقاصدها، وعلى شخصيتها المستقلة، وعلى طريقتها في تقرير حقائقها، وعرض موضوعاتها.

فما أن ينتهي القارئ من تقديم سيد قطب للسورة حتى يكون قد تعرّف على السورة، وأدرك وحدتها الموضوعية.

ومن لهم مساهمة في محاولة إدراك الوحدة الموضوعية للسورة الأستاذ عبد الحميد طههاز، الذي أصدرت له دار القلم بدمشق سلسلة «من موضوعات سور القرآن». وقد أصدر من هذه السلسلة اثنتين وعشرين حلقة، تكلم فيها عن اثنتين وعشرين سورة.

إن محاولة الأستاذ طههاز جيدة، وإن لم تكن وفق المنهج الذي نريده، والطريقة التي نرتضيها.

وللأستاذ الشيخ محمد الغزالي محاولة في التفسير الموضوعي للقرآن حيث أصدر ثلاثة كتب في ذلك تحت عنوان: «التفسير الموضوعي للقرآن»، استعرض فيها سور القرآن كلها، لكنه كان استعراضاً في غاية الإيجاز والاختصار، وكلامه لا يخرج عن كونه تلخيصاً موجزاً لموضوعات السورة، وليس تفسيراً موضوعياً لها، وهي محاولة مشكورة منه على كل حال.

ومن الذين درسوا بعض سور القرآن دراسة موضوعية، الدكتور محمد حسن باجودة في كتابه «الوحدة الموضوعية في سورة يوسف». والدكتور أحمد نوفل في كتابه: «تفسير سورة يوسف». والدكتور ناصر العمر في كتابه «تفسير سورة الحجرات» والأستاذ عبدالرحمن حبنكة في كتابه: «تدبر سورة الفرقان في وحدة موضوع».

وأذكرُ بعض الموضوعات التي طرقها الأستاذ حينئذ في تدبره لسورة الفرقان، وتفسيره الموضوعي لها:

بدأ دراسته الموضوعية لسور الفرقان، بمقدمات عامة، تحدث فيها عن موضوع السورة، وعناصره الأربعة، و«وَزَعَّ» آيات السورة على هذه العناصر الأربعة لموضوعها العام. ثم تحدث عن جوّ نزول السورة، وتطور مواقف المشركين في مكة تجاه عناصر موضوع السورة الأربعة، منذ البعثة وحتى نزول سورة الفرقان.

وانتقل بعد ذلك إلى دراسة السورة، حيث قسّمها إلى ثلاثة عشر درساً، واستعرض هذه الدروس واحداً واحداً، وذكر آيات كل درس، وفسّر كل آية تفسيراً تحليلياً شاملاً، وموضوعياً مفصلاً، وكان نَفْسُهُ طويلاً في تحليلاته اللفظية ووقفاته الموضوعية، حيث استوعبت معظم الكتاب (٢٥-٣٥٣).

ولما فرغ من ذلك أعد ثمانية ملاحق للسورة، سجل في ستة منها خلاصة موضوعية للسورة:

الملحق الأول: شجرة موضوع السورة، وقد أعدّ فيه جداول خطوط السورة، بدقة وعناية، وبيّن آيات كل جدول، وكانت الخطوط التي رسمها أربعة

الملحق الثاني: سجل فيه بلاغيات وأدبيات وفنيات في السورة، وتحليلات موضوعية لطيفة لآيات السورة، كلها ذات طابع بياني بلاغي عام.

الملحق الثالث: ما تقدمه السورة من بيان مقرون بالحجة والبرهان، سواء في الاحتجاج للحق، أو في نقد الباطل.

الملحق الرابع: استخلص فيه سبعة أساليب دعوية تربوية، عرضتها آيات السورة، على أساس منهجها في الدعوة والتربية.

الملحق الخامس: في ما يجب أن يأخذ به ويتزود به الداعي إلى الله، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد استخلص من آيات السورة تسع وسائل لذلك.

الملحق السادس: ما عرضته آيات السورة في أدب الرسول ﷺ مع ربه.

الملحق السابع: تحدث فيه عن عقيدة مشركي العرب حول توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، مستنبطاً من القرآن. عرض فيه ست نصوص من آيات القرآن كلها من غير سورة الفرقان.

وأرى أن هذا الملحق السابع مقحم على سورة الفرقان، فلماذا عرضه مع ملاحق السورة؟ .

الملحق الثامن: تحدث فيه عن اعتراض الأمم على بشرية الرسل، ورد القرآن على ذلك.

وهو مثل السابع مُقَحَّم على سورة الفرقان.

الخطوات المرحلية للسير في التفسير الموضوعي

قلنا: إن التفسير الموضوعي ثلاثة ألوان: تفسير موضوعي للمصطلح القرآني، وتفسير موضوعي للموضوع القرآني، وتفسير موضوعي للسورة القرآنية، وقد تكلمنا عن هذه الألوان في الفصل السابق، وعرفنا بكل واحد، وشرحناه، وعرضنا الأمثلة عليه. وكلامنا الآن عن الخطوات المرحلية المتدرجة التي لا بد أن يسلكها الباحث في كل لون من هذه الألوان.

الخطوات المرحلية:

إن البحث في التفسير الموضوعي أمر علمي، ولا بد أن يسير وفق خطة علمية، وطريقة مدروسة، وأن تكون خطوات الباحث فيه مرحلية مبرمجة متناسقة. نقول هذا ونطلبه من الباحث، لأن التفسير الموضوعي علم شريف، يتعلق بأشرف كتاب، وهو القرآن الكريم، فلا بد أن يتصف عمل الباحث فيه بالعلمية والمنهجية والموضوعية.

لقد عرض بعض الأساتذة المؤلفين خطوات السير في التفسير الموضوعي تحت عنوان: «منهج البحث في التفسير الموضوعي» واعتبروا هذه الخطوات منهجاً، وهذا مما يؤخذ عليهم.

إنهم لم يفرقوا بين المنهج وبين الطريقة، بل إن بعضهم اعتبر المنهج هو الطريقة.

فها هو الدكتور عبدالستار السعيد يصرح قائلاً: «نعني بالمنهج الطريقة، أو الخطوات التي ينبغي اتباعها، والتقيد بها...»^(١).

(١) المدخل إلى التفسير الموضوعي للسعيد: ٥٦.

يجب أن نفرق بين المنهج والطريقة في الأبحاث العلمية المنهجية، ومنها الأبحاث المتعلقة بالقرآن الكريم وتفسيره وتأويله.

إن المنهج هو: القواعد الأساسية التي ينطلق منها الباحث في نظره للقرآن، وتعامله معه، وقيامه بتفسيره وتأويله، وهذه القواعد ضوابط تضبط عمله كله، بخطواته ومراحلها، وتصبغ جهده كله بصبغتها.

أما الطريقة فهي: تطبيقه لتلك القواعد التي حكمته وقيدته، وكيفية مراعاته لها، والتزامه بها. هي الخطوات العلمية التي خطاها ونفذها في تدبره للقرآن، هي كيفية تناوله التفصيلي لموضوعه القرآني.

وبعبارة أخرى نقول: المنهج في البحث العلمي القرآني أشبه ما يكون بالمخطط الهندسي، الذي يضعه المهندس الخبير على الورق، والطريقة أشبه ما تكون بعملية تنفيذ ذلك المخطط على الأرض من قبل المهندس المنفذ، وبناء العمارة التي وضع لها المخطط، ويقوم المهندس المشرف بمراقبة العمل، وملاحظة مدى التزام المنفذ بالمخطط الذي أمامه.

هكذا يكون إدراك الباحث القرآني لقواعد منهجه الموضوعية، ثم هكذا يكون التزامه بتلك القواعد، أثناء سيره في بحثه، وتطبيقه لمنهجه، فالمنهج غير الطريقة، وليس الأمر كما قاله الدكتور عبدالستار السعيد والدكتور مصطفى مسلم، وغيرهما، جزاهما الله خيراً.

وكلامنا هنا عن الطريقة، وليس عن المنهج، وسوف نشير إلى بعض قواعد المنهج فيما بعد.

إن طريقة سير الباحث في التفسير الموضوعي لها خطوات مدروسة.

وهذه الخطوات مرحلية متدرجة متتابعة، يلتزم بها الباحث خطوة خطوة، ولا يجوز أن ينتقل إلى خطوة إلا بعد استكمال سابقتها، ولا يجوز أن يقدم خطوة تالية على خطوة سابقة.

خطوات عامة للألوان الثلاثة:

هناك خطوات مرحلية عامة، مشتركة بين الألوان الثلاثة، ولا بد من مراعاتها والالتزام بها في كل لون منها، ومن هذه الخطوات:

- ١- أن يسجل الباحث أهدافه التي يريد تحقيقها من بحثه، لأنه لا بد لكل بحث علمي منهجي موضوعي من أهداف وبواعث تدفع إليه، ولا تكفي في هذا الأهداف العامة، كأن يقول: أريد أن أخدم القرآن، أو أنفع المسلمين، أو أبحث في العلم. بل لا بد من أهداف خاصة تناسب موضوع بحثه.
- ٢- أن يحدد الباحث مدى الحاجة المعاصرة إلى بحثه، والجوانب الضرورية التي سيفتضيها، والمشكلات التي سيعالجها.
- ٣- أن لا يكون عند الباحث غرض مسبق يريد ترسيخه من خلال القرآن، وأن لا يكون له مقرر فكري مسبق يريد الاستشهاد له من القرآن، إنه إن فعل ذلك سيحرف المصطلحات والآيات القرآنية لتخدم غرضه، وتشهد لفكرته.
- على الباحث أن يدخل عالم القرآن بدون مقررات فكرية سابقة، وأن يعيش مع حقائق موضوعه القرآني بحياد، وأن يطلب من القرآن تشكيل خلفيته العلمية والعقلية والفكرية.
- قد ترى باحثاً يبحث في الجهاد في القرآن ليقرر أن الجهاد في القرآن إنما هو للدفاع وردّ الاعتداء، وقد ترى باحثاً يبحث في القرآن عن الأديان السابقة، ليقرر أن اليهود والنصارى الآن مؤمنون موحدون صالحون في الجنة.
- هؤلاء مخطئون في بحثهم وخطواتهم ونتائجهم، لأنهم بحثوا في القرآن بغرض ومقرر مسبق.
- ٤- أن يطلع الباحث على الأبحاث والدراسات القرآنية الأخرى، وأن يتأكد عدم بحث موضوعه من قِبَل باحث آخر، فإن وجد كتاباً آخر يبحث في موضوعه، بطريقة علمية منهجية، فعليه أن يتخلى عن هذا الموضوع، ويذهب إلى موضوع آخر، ويدعو لصاحب البحث المطبوع، لأنه أراحه ووفر جهده وطاقته لبحث آخر.
- ٥- أن يقرأ الباحثُ قراءة عامة شاملة، ويطلع على كل ما له صلة ببحثه القرآني، يقرأ في مجموعة من كتب التفسير، والكتب العامة التي تعرض جوانب موضوعه. وأن

يكتب ملاحظاته على ما يقرأ، ويرصد المراجع التي يقرأ فيها، فسوف يتفجع بهذا عندما يشع في صياغة بحثه.

المطلب الأول

الخطوات المرحلية للسير مع المصطلح القرآني

بحث المصطلح القرآني، وتفسيره موضوعياً يتم على مرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى: مرحلة البحث والجمع.

المرحلة الثانية: مرحلة الترتيب والتبويب والصياغة.

ولكل مرحلة خطواتها الفرعية المتدرجة.

أولاً، خطوات مرحلة البحث والجمع:

١- اختيار المصطلح القرآني الذي يريد بحثه، بعد تحديد أسباب هذا الاختيار. كان يقول: أريد أن أبحث: الأمانة في القرآن، الميثاق في القرآن، الجهاد في القرآن.

٢- تحديد الجذر الثلاثي للكلمة، بأن يعيدها إلى أصلها الثلاثي. فالجذر الثلاثي للأمانة هو «أمن» والجذر الثلاثي للميثاق هو «وثق»، والجذر الثلاثي للجهاد هو «جهد» وهكذا.

٣- أخذ معنى الجذر الثلاثي من أمهات كتب اللغة ومعاجمها الأساسية.

والكتب التي لا يُستغنى عنها في هذا المقام - بل لا يستغنى عنها أي باحث في أي حقل من حقول العلم - هي:

أ- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المتوفى سنة ٣٩٥هـ وقد حقق الكتاب عبدالسلام هارون، وأصدره في ست مجلدات.

ب- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل، المتوفى في حدود ٤٢٥هـ وأحسن طبعات الكتاب، تلك الصادرة عند دار القلم، والتي حققها صفوان داوودي.

ج- معجم لسان العرب، لابن منظور، أبي الفضل جمال الدين: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، المتوفى سنة ٧١١هـ، وقد اختصر ابن منظور في اللسان أمهات المعاجم السابقة، وهي: تهذيب اللغة للأزهري، والمحكم لابن سيده، والصحاح للجوهري، والجمهرة لابن دريد، والنهاية لابن الأثير.

د- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي: شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبدالدايم، المتوفى سنة ٧٥٦هـ، وقد حقق الكتاب الدكتور محمد التونجي، وأصدره في أربع مجلدات.

هـ- الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي. المتوفى سنة ١٠٩٤هـ، وقد حقق الكتاب الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، وصدر في مجلد الكبير.

على الباحث أن يأخذ معنى الجذر الثلاثي من هذه المعاجم الخمسة، بهذا الترتيب، وأن يعرف ماذا أضاف اللاحق على السابق من معانيها.

٤- متابعة ورود الجذر الثلاثي واشتقاقاته وتصريفاته في القرآن الكريم، وأخذ هذا من المعاجم التي عنيت بفهرسة ألفاظ القرآن.

ومن أشهر المعاجم التي عنيت بذلك:

أ- المرشد إلى آيات القرآن وكلماته، لمحمد فارس بركات.

ب- فتح الرحمن لطالب آيات القرآن. لفيض الله العلمي.

ج- معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري. لمحمد فؤاد عبد الباقي.

د- مصباح الإخوان لتحريات القرآن، ليحيى حلمي قسطنوني.

ويمكن للباحث أن يستغني عن هذه المعاجم، وأن يعتمد على المعاجم التالية:

أ- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، لمحمد فؤاد عبد الباقي، وهو أشهر المعاجم، وأكثرها انتشاراً، وأجلها خدمة، وأحسنها ترتيباً.

ب- معجم الأدوات والضائر في القرآن، لإسماعيل عمارة وعبد الحميد مصطفى السيد، وهو مكمل ومتمم لمعجم عبد الباقي، خاص بالأدوات والضائر، التي أسقطها عبد الباقي من معجمه، ولا بد أن يؤخذ المعجمان معاً.

ج- معجم ألفاظ القرآن الكريم، الذي أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة، وأعدته لجنة من كبار العلماء^(١).

يقوم الباحث بعملية إحصائية شاملة لورود الجذر الثلاثي للمصطلح الذي يبحثه، على اختلاف اشتقاقاته وتصريفاته.

وطريقة محمد فؤاد عبد الباقي في متابعة ورود المصطلح في القرآن منهجية موضوعية معجمية.

وعرض عبد الباقي طريقته في مقدمة معجمه. فقال:

«إن الطريقة التي أتبع في ترتيب مواد هذا المعجم هي طريقة الزنجشري في الأساس، والفيومي في المصباح، والتي اتبعتها أصحاب المعاجم العصرية، كمحيط المحيط، وقطره، للبهستاني وأقرب الموارد للشرطوني.. وهي: ترتيب أصول الكلمات على حسب أوائلها، فثوانيتها، فثوالثها، فافتح المعجم بمادة «أ ب ب» واختتم بمادة «ي و م».

والطريقة التي أتبع في مشتقات الكلمة «المادة» هي: الابتداء بالفعل المجرد المبني للمعلوم، ماضيه، فمضارعه، فأمره، ثم المبني للمجهول، من الماضي والمضارع، ثم المزيد بالتضعيف، فالمزيد بحرف.. ثم باقي المشتقات، من المصدر واسم الفاعل والمفعول، فباقي الأسماء..

متبعاً في ترتيب كلمات كل باب من هذه الفروع نفس الطريقة التي اتبعت في ترتيب المواد الأصلية، وهي ترتيبها أيضاً حسب أوائلها فثوانيتها فثوالثها، وهلم جرا...»^(٢).

(١) انظر الكلام عن هذه المعاجم في المدخل إلى التفسير الموضوعي للسعيد: ٣٦-٣٨.

(٢) مقدمة المعجم المفهرس لعبد الباقي. تحت عنوان «مفتاح الكتاب».

٥- ربط المعنى اللغوي للمصطلح القرآني مع الاستعمال القرآني، وملاحظة توفر المعنى اللغوي له في كل مفردات واشتقاقات المصطلح.

ف عند الكلام على الجذر الثلاثي لكلمة «جهاد» وهو «جُهِدَ». لا بد أن يبين الباحث توفر معنى «جهد» الأصلي في الألفاظ القرآنية المشتقة منه، وهي: الجهاد والمجاهدة، والجُهِدُ المبذول - بضم الجيم - وَجَّهْتُ الأيَّان - بفتح الجيم - .

٦- ربط المصطلح القرآني مع السياق الذي ورد فيه، وبيان تناسبه وتناسب هذا المصطلح مع الآية التي ورد فيها، ومع الدرس الذي وردت فيه الآية، وذلك لبيان الوحدة الموضوعية للدرس.

ونعلم أن للسياق القرآني أثراً مباشراً في ورود المصطلح القرآني على الصورة التي ورد فيها، وفي تركيب حروفه ووضع حركاته، وهذا كله يؤثر على المعنى الخاص لذلك المصطلح في هذا الموضع من السياق.

فما حكمة إسناد المجاهدة إلى الوالدين الكافرين في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت: ٨].

وهل يمكن أن نطلق على فعلهما جهاداً؟

ولماذا قال الله في سورة العنكبوت: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت: ٨] وقال في سورة لقمان: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [لقمان: ١٥]؟ .

فالموضوع واحد، ولكن فعل «جاهدك» تعدى بحرف اللام في الآية الأولى «لتشرك» بينما تعدى بحرف «على» في الآية الثانية: «على أن تشرك».

٧- ترتيب الآيات التي أوردت المصطلح موضوع البحث على حسب النزول - إن تيسر ذلك - ولو بالصورة العامة، كأن يقال: هذه آيات في سور مكية، وهذه آيات في سورة مدنية.

وملاحظة تطور معنى المصطلح، والإضافات عليه في الآيات المتأخرة، وملاحظة ما في الآيات من نسخ، والوقوف على أسباب نزولها، ثم معرفة القراءات الأخرى الصحيحة للمصطلح، وتوجيه كل قراءة، والفرق بين القراءات.

فعندما ينظر في كلمة «المجاهدون» مثلاً، سيرى أنها وردت في سور مدنية، ولم تنزل في سور مكية، فما الحكمة من ذلك؟ .

ثم إن «المجاهدين» لم ترد في القرآن إلا جمع مذكر سالماً، ولم تأت بصيغة المفرد «مجاهد» فما الحكمة من ذلك؟ .

٨- الاطلاع على تفسير الآيات التي أوردت المصطلح، في أمهات كتب التفسير، بأن يختار تفسيراً يمثل كل مدرسة من مدارس التفسير التي سبق أن تكلمنا عنها.

والتفاسير التي يُنصح بالاطلاع عليها هي تفاسير: الطبري، والزمخشري، والرازي، وابن كثير، وابن عاشور، وسيد قطب.

وعليه أن يجمع من هذه التفاسير ما ورد حول الآيات من أحاديث صحيحة، وأقوال مأثورة عن الصحابة والتابعين، ومشاهير المفسرين.

٩- ملاحظة البعد الواقعي للمصطلح موضوع البحث، وذلك بأن ينظر في الآيات التي أوردته للوقوف على أبعادها الواقعية، وإدراك إشاراتها وإيجاءاتها الواقعية، ومدى علاجها لمشكلات مجتمعه، ومعايشة مضامينها التربوية والاجتماعية.

١٠- الوقفة المتأنية الفاحصة أمام الآيات التي أوردت المصطلح، واستخلاص دلالاتها، والالتفات إلى لطائفها، واستنباط دروسها وعبرها، وتسجيل حقائقها.

وتقديم هذا كله باعتباره نتيجة لجولته مع المصطلح القرآني، وثمره علمية عملية تربوية لبحثه.

ثانياً: خطوات مرحلة الترتيب والصياغة،

قلنا: إن البحث في المصطلح القرآني الواحد يقوم على مرحلتين أساسيتين: مرحلة الجمع والنظر، ومرحلة الترتيب والتبويب والصياغة.

وقد تكلمنا عن عشر خطوات متدرجة للمرحلة الأولى، ونتكلم الآن عن خطوات مرحلة الصياغة.

إن المادة التفسيرية مجموعة الآن أمام الباحث، وهو يريد الآن أن يقوم بترتيبها وصياغتها.

عليه أن يتبع الخطوات المتدرجة التالية:

- ١- إلقاء نظرة فاحصة على المادة التفسيرية المجموعة أمامه، نظرة منهجية موضوعية، بهدف إدراك فصولها ومباحثها، وترتيبها منهجياً، واختيار عناوين مباحثها.
- ٢- وضع مخطط منهجي موضوعي للبحث، مفصل الفصول والمباحث، بحيث تكون هذه المباحث متناسقة، ذات عناوين واضحة معبرة.
- ٣- توزيع المادة التفسيرية على فصول ومباحث المخطط، ووضع مادة كل فصل على حدة، بحيث تكون مادة كل فصل معروفة محددة.
- ٤- البدء بصياغة وكتابة كل فصل، وعدم الانتقال إلى الفصل التالي إلا بعد الانتهاء من الفصل الذي بين يديه.
- ٥- الحرص على دقة الصياغة من الناحية الظاهرية والموضوعية، بحيث تكون كتابته خالية من الأخطاء الإملائية والنحوية، ويضع علامات الترقيم مواضعها، من الفواصل والنقط والفقرات. والحرص على أن تتصف كتابته بالسلاسة والإشراق في التعبير، وأن يكون أسلوبه فصيحاً بليغاً معبراً.
- ٦- ملاحظة وضع اللطائف واللفتات في مواضعها، بحيث تكون متناسقة مع المكان الذي وضعت فيه، ولا تكون شاذة أو ناشزة فيه.
- ٧- التركيز على ربط المصطلح القرآني بمقاصد القرآن وأهدافه. باعتباره كتاب هداية وتوجيه وتشريع وإعجاز، والالتفات إلى الواقع المعاصر ومشكلاته، وإظهار علاج المصطلح لها.
- ٨- الإخراج الفني المقبول لبحثه، من حيث المقدمة، والفصول مع مباحثها، والخاتمة، وقائمة المراجع، ومن حيث التوثيق العلمي للمادة المكتوبة، ووضع الهوامش في أسفل

الصفحات، وترقيم الآيات، وتخريج الأحاديث، وتشكيل الكلمات المحتاجة إلى تشكيل، وجودة الخط.

بهذا يكون البحث متصفاً بالمنهجية الموضوعية من حيث الأفكار والمضامين، ومتصفاً بالجمال الظاهري من حيث الصياغة والإخراج الفني.

إن الأبحاث والموضوعات المتعلقة بالقرآن يجب أن تقدم بصورة تليق بالقرآن، وما ينظر له المسلمون من قداسة وتشريف، وعلى الباحثين والكتابين مراعاة هذه الناحية، وصنغ أبحاثهم بهذه الصبغة.

المطلب الثاني

الخطوات المرحلية للسير مع الموضوع القرآني

الموضوع القرآني هو اللون الثاني من ألوان التفسير الموضوعي، وهو أقرب الألوان الثلاثة إلى حقيقة التفسير الموضوعي، ولهذا هو أهم هذه الألوان.

وقبل أن نعرض الخطوات المرحلية للسير مع الموضوع القرآني، نحب أن نضع بين أيدي الباحثين وطلبة العلم، ما ذكره بعض من كتبوا في التفسير الموضوعي من المعاصرين.

من أهم الكتب في التفسير الموضوعي، كتاب الدكتور عبدالستار السعيد، وكتاب الدكتور مصطفى مسلم، كما ذكرنا.

وقد سجّل الكاتبان الفاضلان خطوات السير في الموضوع القرآني، وفيما يلي موجز ما ذكره كل منهما، جزاءهما الله خيراً.

أولاً: الخطوات كما يراها الدكتور السعيد:

عرض الدكتور عبدالستار فتح الله السعيد هذه الخطوات، تحت عنوان «منهج البحث في التفسير الموضوعي» وقد سبق أن استدركنا على هذا العنوان، وطلبنا بالتفريق بين المنهج والطريقة.

قدم الدكتور السعيد ثماني خطوات، أجل القول فيها أولاً، ثم فصله بعد ذلك.

وخلاصة الخطوات التي يراها هي:

- ١- المعرفة الدقيقة لمعنى التفسير الموضوعي، بهدف أن يكون الموضوع القرآني الذي يبحثه مندرجاً ضمن التفسير الموضوعي فعلاً.
- ٢- تحديد الموضوع القرآني المراد بحثه تحديداً دقيقاً، بأن يكون موضوعاً قرآنياً فعلاً، ورد واضحاً في آيات القرآن.
- ٣- اختيار عنوان للبحث، مأخوذ من نفس ألفاظ القرآن، أو منتزع من معانيها، دالّ عليها.
- ٤- جمع الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع، واختيار جوامعها عند إرادة الاختصار.
- ٥- تصنيف الآيات من حيث المكّي والمدني، وترتيبها أيضاً من حيث زمنُ النزول، إن تيسر ذلك.
- ٦- فهم الآيات التي جُمعت، بالرجوع إلى تفسيرها في كتب التفسير، ومعرفة ما يتعلق بها من أسباب نزول أو نسخ، أو تدرج تشريع.
- ٧- تقسيم الموضوع إلى عناصر مترابطة، منتزعة من الآيات نفسها، وردّ الآيات إلى عناصرها، مع تفسيرها بإيجاز.
- ٨- التقيد التام في كل هذه الخطوات بقواعد التفسير الموضوعي، وضوابطه العلمية، من حيث البقاء مع القرآن، وتجنب الحشو والاستطراد..^(١)

ثانياً، الخطوات كما يراها الدكتور مسلم:

تابع أستاذنا الدكتور مصطفى مسلم الدكتور عبدالستار السعيد في اعتبار الخطوات ضمن «منهج البحث في موضوع من خلال القرآن الكريم». والأصل أن نعتبرها ضمن الطريقة العلمية، وليس من المنهج.

وسجل الدكتور مسلم ثمانى خطوات، هي:

- ١- اختيار عنوان للموضوع القرآني مجال البحث، بعد تحديد معالم حدوده، ومعرفة أبعاده في الآيات.

(١) انظر هذه الخطوات مع شرحها في: المدخل إلى التفسير الموضوعي: ٥٦-٦٦.

- ٢- جمع الآيات التي تبحث الموضوع، أو تشير إلى جانب من جوانبه.
- ٣- ترتيب هذه الآيات حسب زمن النزول.
- ٤- دراسة تفسير هذه الآيات دراسة وافية، من كتب التفسير التحليلي.
- ٥- تسجيل العناصر الأساسية للموضوع من خلال الآيات.
- ٦- تفسير الآيات إجمالياً، وذكر ما ورد في تفسيرها من أحاديث صحيحة، وأقوال للصحابة والتابعين.
- ٧- وضع مخطط للبحث، وفق توجيهات البحث العلمي، بتحديد منهجه في البحث، وطريقته في، وتفصيل أبوابه وفصوله ومباحثه.
- ٨- تحديد أهداف الباحث من بحثه، بإبراز حقائق وتوجيهات القرآن، وعرضها بأسلوب عذب مشرق..^(١)

ثالثاً: الخطوات المرحلية التي نراها:

نلخص فيما يلي الخطوات المرحلية التي نراها، من أجل السير في التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، وقد يكون بعضها وارداً فيما ذكره الأستاذان عبدالستار السعيد ومصطفى مسلم، لكننا نسجله من باب الترتيب المرحلي لهذه الخطوات المتدرجة:

١- اختيار الموضوع القرآني للبحث، على أن يكون موضوعاً تحدثت عنه آيات القرآن، وعرضت جوانبه وحقائقه، بحيث يجد الباحث في آيات القرآن مادة واسعة لموضوعه.

· كأن يبحث في: العدل في القرآن، أو: قصة إبراهيم في القرآن.

فإذا اختار باحث موضوع «انشطار الذرة في القرآن» أو «بصمات الأصابع في القرآن»!! فماذا سيجد في القرآن من ذلك؟ لن يجد إلا آية لكل موضوع!

٢- تسجيل الأسباب التي دفعته لاختيار الموضوع، والأهداف التي يريد تحقيقها من خلاله، وبيان مدى الحاجة المعاصرة للموضوع، والمشكلات الإنسانية والحضارية التي يحلها من خلالها، والمضامين المعاصرة التي يضمها ويعرضها.

(١) انظر هذه الخطوات في: مباحث في التفسير الموضوعي. للدكتور مصطفى مسلم: ٣٧-٣٩.

- ٣- جمع الآيات التي تتحدث عن الموضوع، إما بألفاظ صريحة مباشرة، أو بألفاظ قريبة منها، أو بألفاظ لها اتصال بها.
- فإذا أراد بحث موضوع «الرسول في القرآن»، نظر في الآيات التي تتحدث عن: الرسول. والنبى. والوحي. والتبليغ. والكتاب. والدعوة. واختار منها الآيات التي لها اتصال مباشر بالرسول.
- ٤- استخراج معاني الألفاظ السابقة التي اختارها، من أمهات كتب اللغة التي تحدثنا عنها سابقاً: مقييس اللغة لابن فارس، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب، وعمدة الحفاظ للسمين، ولسان العرب لابن منظور، والكليات لأبي البقاء.
- وبعد استخراج معانيها، يقوم الباحث ببيان الصلة بين هذه الألفاظ المتقاربة، ثم يربط بين هذه الألفاظ وبين الموضوع القرآني الذي يبحثه.
- ٥- حصر الآيات التي استعملت المصطلحات الأساسية لموضوعه، والألفاظ المقاربة لها، والاستعانة في ذلك بكتاب «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن» لعبد الباقي، أو «معجم ألفاظ القرآن» الذي أصدره مجمع اللغة العربية.
- وملاحظة الصيغ والاشتقاقات والتصريفات المختلفة للألفاظ التي لها صلة بموضوعه، واستخراج بعض الدلالات والإيحاءات من ذلك.
- ٦- تسجيل ما يدور حول الآيات التي استخلصها من: أسباب نزول، ونسخ، وقراءات صحيحة، وترتيب هذه الآيات حسب المكى والمدني وزمان النزول. وملاحظة ما يتعلق بها من تدرج في التشريع، أو عموم وخصوص، أو غير ذلك.
- ٧- قراءة تفسير الآيات التي اختارها من أمهات كتب التفسير، كتفاسير: الطبري والزنجشري والرازي وابن كثير وسيد قطب.
- وتسجيل ما ورد في تفسير تلك الآيات من أقوال مأثورة، تتمثل في الأحاديث الصحيحة وأقوال الصحابة والتابعين وأعلام المفسرين.

٨- بيان الأبعاد المعاصرة للآيات، بالالتفات إلى ما تتضمنه من إشارات وإيحاءات مرتبطة بحاجات ومشكلات العصر الحاضر، وتزليل هذه الآيات على حالة العصر، والنظر إلى قضايا ومشكلات العصر من خلال هذه الآيات.

وتسجيل كل ما يجده ويعيشه ويدركه الباحث من ذلك.

٩- استخلاص الدلالات والعبر واللطائف من الآيات المجموعة، بذكر الدلالة المستخرجة، وبيان موطن ووجه الاستدلال. والتركيز على الدلالات ذات البعد الاجتماعي والإنساني المعاصر.

١٠- الاطلاع على الدراسات والأبحاث القرآنية الخاصة المعاصرة، التي لها صلة بموضوعه القرآني، ومعرفة مدى ما يستفيده في بحثه من هذه الدراسات.

بهذه الخطوات العشرة المتدرجة يكون الباحث قد جمع المادة القرآنية والتفسيرية، التي تهتمه في تفسيره الموضوعي، وبذلك يكون قد استكمل المرحلة الأولى الأساسية في بحثه، وهي مرحلة: جمع المادة والنظر فيها.

أما المرحلة الثانية التابعة لها، وهي مرحلة الترتيب والتبويب والصيغة، فهي لا تخرج عن الخطوات الثانية المتدرجة، التي تكلمنا عنها عند حديثنا عن «خطوات السير في المصطلح القرآني».

إن الخطوات الثانية التي عرضناها هناك، عند صياغة وكتابة البحث، هي نفسها الخطوات المتدرجة التي لا بد أن يلتزم بها الباحث هنا، عند تفسيره الموضوعي للموضوع القرآني^(١).

المطلب الثالث

الخطوات المرحلية للسير مع السورة القرآنية

لا يرى الدكتور عبدالستار السعيد البحث في الوحدة الموضوعية للسورة في ألوان التفسير الموضوعي.

(١) انظر مبحث «خطوات مرحلة التبويب والصيغة» من هذا الفصل.

وفي هذا يقول: «يتجنب المفسر الكتابة تحت هذا العنوان فيما يسمى «بالنظام في القرآن» أو «الوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم» أو التفسير الموضوعي بمعناه العام، كالنسخ في القرآن ونحوه، أو «علم المناسبات» لأن هذه الجوانب مع جلالتها وأهميتها، لكنها خارجة عن مصطلح «التفسير الموضوعي»^(١).

ولسنا مع الأستاذ السعيد في هذا الكلام، فقد سبق أن قررنا أن ألوان التفسير الموضوعي ثلاثة، الثالث منها هو الذي يقوم فيه الباحث بإجراء بحث علمي يقدم فيه التفسير الموضوعي للسورة.

أما أستاذنا الدكتور مصطفى مسلم فقد سجل أربع خطوات تحت عنوان «منهج البحث في التفسير الموضوعي لسورة واحدة».

والخطوات التي سجلها هي:

- ١- التقديم للسورة بتمهيد، يعرف فيه بأمور تتعلق بالسورة، من حيث أسباب نزولها، ومكيتها ومدنيتها، وغير ذلك.
- ٢- محاولة التعرف على الهدف الأساسي للسورة، والمحور الذي تدور حوله.
- ٣- تقسيم السورة الطويلة إلى مقاطع أو فقرات.
- ٤- ربط هذه المقاطع بالأهداف الأساسية للسورة^(٢).

الخطوات المرحلية المتدرجة التي نراها للسير في التفسير الموضوعي للسورة هي:

- ١- ذكر اسم السورة التوقيفي، وإذا كان لها أكثر من اسم توقيفي يذكرها، ويبين حكمة تسميتها بذلك الاسم، أو تلك الأسماء، ويلاحظ الصلة بين اسمها التوقيفي وبين موضوعها العام.

ويستعين في ذلك بكتاب «نظم الدرر في تناسب الآي والسور» للإمام برهان الدين البقاعي.

(١) المدخل إلى التفسير الموضوعي للسعيد: ٥٧-٥٨.

(٢) انظر هذه الخطوات في: مباحث في التفسير الموضوعي: ٤٠.

٢- معرفة اسم السورة الاجتهادي، سواء أطلقه عليها علماء سابقون، أو تمكن هو من إدراكه، والربط بين اسمها الاجتهادي وبين موضوعها.

فسورة البقرة مثلاً، اسمها التوقيفي سورة البقرة، لكن من خلال الوقوف على موضوعها العام يمكن أن نسميها سورة «الخلافة والخلفاء».

وليس هذا موطن تفصيل الصلة بين اسمها الاجتهادي وبين موضوعها.

٣- تحديد زمان ومكان نزول السورة، وهل هي مكية أو مدنية، وهل كلها مكيّة أو مدنيّة؟ أم أن فيها آيات مكية ضمن مجملها المدني، أو العكس. ومحاولة تعليل ذلك.

٤- بيان جو نزول السورة، سواء كانت مكية أو مدنية، وهل نزلت في المرحلة المتقدمة أو المتوسطة أو المتأخرة من مرحلة الدعوة الإسلامية، سواء في عهدا المكي أو عهدا المدني.

والوقوف على مظاهر قوة المسلمين وتفاعلهم مع التربية النبوية، وعلى مستوى المعركة بينهم وبين أعدائهم الكفار، في مكة أو المدينة، أو معرفة مظاهر النقاء أو الخلخلة في المجتمع الإسلامي، الذي تعالجه آيات السورة.

ويستعين في هذه الخطوة بالتقديم الرائع الذي كان يقدم به سيد قطب للسور، في الطبعة المنقحة من تفسيره «في ظلال القرن» وهي السور القرآنية حتى نهاية سورة الحجر.

٥- تحديد أهداف السورة الأساسية، ومقاصدها الرئيسية، واستخراج هذه الأهداف والمقاصد من خلال القراءة الواعية المتدبرة لآيات السورة عدة مرات، وبيان الجو العام الذي نزلت فيه، والاستدلال على كل هدف أو مقصد يسجله بمجموعة من آيات السورة.

ويستعين في هذه الخطوة بتقديم سيد قطب للسور في الطبعة المنقحة من الظلال، وبكتابي الإمام البقاعي «نظم الدرر في تناسب الآي والسور» و«مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور». وبكتاب الفيروز آبادي: «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز». وبتفسير «التحرير والتنوير» لمحمد الطاهر بن عاشور.

٦- التعرف على «شخصية» السورة، وموضوعها الرئيسي، وعمودها الأساسي، ثم التعرف على محاور السورة وخطوطها الرئيسية، وربط هذه المحاور والخطوط مع عمود السورة، والاستشهاد على ذلك بآيات السورة.

ويستعين في ذلك بكلام سيد قطب، في تعريفه بالسور، وبيانه لشخصية كل سورة منها.

٧- ربط السورة بما قبلها من السور، حسب ترتيب المصحف، من حيث التناسب في الموضوع العام لكل منها.

وربط السورة المفصل بالسورة التي قبلها مباشرة، وتسجيل مظاهر هذا الاتصال والتناسب والربط بين السورتين.

والاستعانة في ذلك بكلام البقاعي في تفسير «نظم الدرر».

٨- تقسيم السورة الطويلة والمتوسطة إلى أقسام - إن تيسر ذلك - وبيان مقدمة السورة وأقسامها وخاتماتها، وتوزيع آياتها على تلك الأقسام.

وإن لم يتيسر تقسيمها إلى أقسام، فيجب تقسيمها إلى وحدات أساسية، وذكر موضوع كل وحدة، وآياتها. وبيان الصلة بين تلك الوحدات.

٩- تقسيم الوحدة إلى دروس موضوعية، وذكر آيات وموضوع كل درس، وبيان الصلة بين آيات كل درس، ثم الصلة بين دروس الوحدة، بحيث تتكامل الدروس على تقرير موضوع الوحدة. وتتكامل وحدات السورة على تقرير موضوع السورة، وتحقيق أهدافها.

والاستعانة في ذلك بتقسيم سيد قطب في «الظلال» للسور، حيث كان يقسم السورة إلى وحدات، ذكراً لموضوع وآيات كل وحدة، ثم يقسم الوحدة إلى دروس، ذكراً لموضوع وآيات كل درس، ويبين الصلة الوثيقة بينها.

١٠- استخراج أهم حقائق السورة، والدلالات التي تقررها، والإشارة إلى الأبعاد السورة الواقعية، وكيفية معالجتها لمشكلات الإنسان المعاصر.

١١- الاطلاع على تفسير السورة في أمهات كتب التفسير، كتفاسير: الطبري والزمخشري والرازي وابن كثير وابن عاشور وسيد قطب، لمعرفة تفسيرها التحليلي في هذه التفاسير.

بعد ذلك تأتي مرحلة «الترتيب والتبويب والصياغة» بخطواتها الثانية - التي سبق أن قررناها - فعلى الباحث أن يلتزم بتلك الخطوات الثانية المتدرجة، عند صياغته للمادة العلمية التفسيرية التي جمعها.

وبذلك تبدو السورةُ موضوعَ البحث وحدةً موضوعية واحدة، ذات شخصية بارزة، وموضوع عام، وعمود واضح، وأهداف محددة.

الشورى في السياق القرآني

وردت اشتقاقات مادة «شور» في القرآن أربع مرات. مرتين في القرآن المكي، ومرتين في القرآن المدني.

الأولى: «أشارت»: الفعل الماضي من الإشارة، حيث أخبر القرآن عن إشارة مريم البتول رضي الله عنها إلى ولدها عيسى عليه السلام، ليقدم نفسه إلى قومها. قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٣١﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴿[مريم: ٢٩-٣٠].

الثانية: «شورى»: وهي الاسم من «شار»، حيث أخبر القرآن عن تعمق الشورى في حياة المسلمين. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿[الشورى: ٣٨].

الثالثة: «تشاور»: المصدر من «تشاور»، يتشاور» حيث ورد هذا المصدر في سياق اتفاق الزوجين المتخاصمين على إرضاع ابنهما. قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴿[البقرة: ٢٣٣].

الرابعة: «شاور»: فعل الأمر من الماضي «شاور». وورد في القرآن أمراً من الله لرسوله محمد ﷺ ليشاور المسلمين في الأمور. قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِذَلِكَ لَمَ كُنْ مِنْ الْخَاسِرِينَ ﴿[آل عمران: ١٥٩].

ونلاحظ أن كل مرة من هذه المرات كانت على صيغة غير صيغ المرات الأخرى، فلم تتكرر صيغة في هذه المرات.

«أَشَارَتْ»: الفعل الماضي من الإشارة. تقول: أشارَ، إشارةً.
«الشورى»: الاسم من الفعل «شارَ». تقول: شارَ، سُورَى.
«تشاوَر»: المصدر من الماضي «تشاوَرَ». تقول: تشاوَرَ، تشاوَرًا.
«شاوَر»: الأمر من الماضي «شاوَرَ». تقول: شاوَرَ، يُشاوِرُ، شاوِرٌ.

وسوف نقف وقفة تحليلية مع هذه التصريفات الأربعة، لنستخلص بعض الدلالات واللطائف والإيحاءات.

المطلب الأول

الإشارة الحسية من مريم رضي الله عنها

لما غادرت مريم أهلها إلى مكان خاص، واتخذت من دونهم حجاباً، أرسل الله إليها جبريل عليه السلام، متحولاً إلى صورة رجل، وبعدما جرى حوار بينه وبينها، نفخ فيها من روح الله، بأمر من الله، فحملت بعبسى عليه السلام، ثم وضعت، وخاطبها ابنها عيسى فور ولادته بأن لا تكلم أحداً من قومها، وإنما تشير إليه، وهو على حضنها، وسوف يقدم هو نفسه إلى الناس.

وأنت قومها، ونفذت ما قاله وليدها، وقدمت نفسها للناس، وأعلن أنه عبدالله، وأن الله سيبعثه نبياً. وتحدثت عن هذه القصة آيات من سورة مريم وهي آيات: (١٦-٣٤).

في هذا السياق ورد قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَّخِذَ هُنُورًا مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [مريم: ٢٧-٣٠].

لقد أصيب قومها بمجموعة متتابعة من المفاجآت، أوقعتهم بمزيد من الدهشة والاستغراب والتعجب.

فوجئوا أولاً بابتهم العفيفة قادمة وهي تحمل طفلاً وليداً، ثم فوجئوا بها وهي لا تكلمهم على تساؤلاتهم، لأنها كانت قد صامت عن الكلام، ثم فوجئوا بها وهي تشير إلى

وليدها على حضنها ليكلمهم نياحةً عنها، ويخبرهم حقيقة ما حدث، ويبرئ أمه، واستغربوا: هل يتكلم وليد مضي على ولادته عدة ساعات؟ وكانت المفاجأة الكبيرة المدهشة عندما سمعوا الوليد يتكلم فعلاً، ويقدم نفسه إليهم، ويخبرهم بحقيقة ما جرى.

الشاهد في الآيات قوله: «فأشارت إليه». وكانت إشارتها إلى وليدها جواباً على سؤال قومها: ﴿يَمْرِيْمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ (٧) يَتَأَخْتَهُرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَعِيًّا ﴿.

والإشارة قريبة من الشورى، ومادتها - الجذر الثلاثي - واحدة، وهي «شور». والإشارة قد تكون إشارة حسية، باليد أو العين أو غير ذلك، وهذا هو الأصل فيها، وتكون هذه الحركة الحسية تعبيراً عن معنى يريده صاحب الإشارة، كالدعوة إلى الخروج أو الدخول أو السكوت أو الكلام.

وقد تكون الإشارة معنوية، بأن يشير الرجل على آخر بأن يفعل كذا، وهنا تحمل معنى النصيحة والاقتراح وتقديم الرأي، وهذه هي الشورى.

فالإشارة الحسية إشارة كإشارة مريم رضي الله عنها إلى ابنها.

والإشارة المعنوية شورى، حيث يشير الرجل على الآخر بكذا.

وقد بين الإمام الكفوي الضابط في التفريق بين الإشارة الحسية والشورى المعنوية.

قال: «الإشارة: التلويح بشيء يفهم منه النطق. فهي ترادف النطق في فهم المعنى.

والإشارة إذا استعملت بحرف «على» يكن المراد الإشارة بالرأي، وإذا استعملت بحرف «إلى» يكون المراد الإيحاء باليد.

والإشارة عبارة عن أن يشير المتكلم إلى معانٍ كثيرة بكلام قليل، يشبه الإشارة باليد، فإن المشير بيده يشير دفعة واحدة إلى أشياء لو عبر عنها لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة..»^(١).

(١) الكليات لأبي البقاء الكفوي: ١٢٠.

أي أن الفعل «أشار» إذا تعدى بحرف الجر «إلى» كان المراد الإشارة الحسية، كإشارة مريم إلى وليدها: «فأشارت إليه».

وإذا تعدى «أشار» بحرف الجر «على» كان المراد الإشارة المعنوية، وهي الشورى والنصيحة. تقول: أشار فلان على فلان بكذا أو كذا. أي: اقترح عليه ونصحه.

وكانت إشارة مريم رضي الله عنها إلى ابنها ليتكلم مع قومها نيابة عنها: وفهم وليدها ابن الساعات إشارتها، وتكلم كلاماً فصيحاً مفهماً: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ﴾ [مريم: ٣٠-٣٣].

المطلب الثاني

التشاور بين الزوجين بشأن الطفل

قد يختلف الزوجان ويتخاصمان، وقد يقود هذا الاختلاف إلى الطلاق، وقد يكون لهما أطفال صغار رضع، فما هو مصير هؤلاء الرضع بعد الطلاق؟ هل يملونهم مع حاجتهم لحليب أمهاتهم؟ .

لا بد من أن يجتمع الزوجان المختلفان المتخاصمان، ليتدارسا الأمر، ويتشاورا في إرضاع الأطفال ومصيرهم فإذا اتفقا بعد التشاور على فطام الطفل بعد الستين ورضيا بذلك فلا حرج عليهما.

قال تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّئَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدَيْهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا فِصَالَهُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا بَيْنَكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَالْتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

تقدم لنا هذه الآية مجموعة من الأحكام والتوجيهات القرآنية، بشأن الإرضاع والفظام والأجرة والنفقة، وتحدد العلاقة بين الزوجين المتخاصمين حول هذه المسائل.

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ .

المراد بالوالدات هنا المطلقات، لأن الآية وما قبلها تتحدث عن الطلاق والعدة والمراجعة.

فتقرر الآية حقاً للزوجة المطلقة في إرضاع ابنها حولين كاملين، ولا يجوز لزوجها الذي طلقها أن يجزمها من هذا الحق.

وتحدد الآية أقصى مدة للرضاع بأنها حولان كاملان، ومعلوم مدى أهمية الرضاع للطفل الرضيع خلال السنتين.

﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ : إرضاع الطفل حولين كاملين ليس ملزماً للزوجين المطلقين، فهو بيان أقصى مدة للإرضاع، ويجوز لهما أن ينقضا المدة عن حولين، إذا اتفقا على ذلك، وكانت صحة الطفل تسمح بذلك، فإرضاع الطفل حولين لمن أراد أن يتِمَّ الرضاعة.

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ .

المولود له هو والد الطفل الرضيع، لأنه طلق أمه، والطفل سيصير إليه، فعلى الأب أن يقدم «الرزق» والكسوة والنفقة لمطلقاته أثناء إرضاعها لابنه، فكما أنه يجب على المرأة المطلقة إرضاع ابنها، كذلك يجب على أبيه الإنفاق عليها أثناء إرضاعها لابنه.

﴿لَا تَكُلْفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ .

إن الأوضاع المادية للأزواج المطلقين تختلف من زوج لآخر، ولذلك يختلف تقدير النفقة لزوجاتهم المطلقات على أساس ذلك، فيتم تقديرها على أساس إيسار الزوج وإعساره، ولا يكلف الله نفساً إلى وسعها.

﴿لَا تُضَاكِرُ وَالِدَةٌ بَوْلِيهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلِيهِ﴾ .

هذه جملة معترضة في سياق أحكام الرضاع، يلتفت فيها إلى كل من الزوجين ويُنهى كل منهما عن إضرار الآخر، واستغلال حالته وصلته بالطفل الرضيع.

لا يجوز للزوج المطلق أن يستغل عاطفة الأم تجاه ابنها، وحرصها على إرضاعه، فيظلمها ويوقع الضرر بها، ويمنع أو يقلل نفقتها، كما لا يجوز للزوجة أن تستغل حرص الأب على ابنه، فتشتط وتبالغ في طلباتها.

﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ .

إذا مات الزوج - الأب - أثناء فترة الإرضاع فكل الزوجات التي عليه لمطلقة المرضع تنتقل للوارث، ويجب عليه أداؤها.

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ .

الفِصَال هو الفطام للرضيع، وسمي فصالاً لأن الطفل ينفصل عن ثدي أمه. يميز هذا المقطع من الآية للزوجين المتخاصمين المطلقين فطام طفلها قبل مضي الحولين الكاملين، إن دعت مصلحة الطفل إلى ذلك، على أن يتم ذلك بعد اتفاقهما. فعليهما أن يلتقيا، ويتدارسا الأمر، ويتشاورا في الموضوع، ثم يقررا بعد التشاور التراضي فِطام الطفل.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِيْعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ .

إذا لم يتم الاتفاق بين الزوجين المطلقين على إرضاع الطفل، فلا مانع أن يبحث والد الطفل عن مرضع أخرى، واستئجارها لترضع ابنه، على أن يدفع لها أجرها مقابل الإرضاع بالمعروف.

﴿وَأَلْفُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .

ختمت الآية الأحكام المتعلقة بالإرضاع والأجرة والنفقة بتوجيه الزوجين المتخاصمين إلى تقوى الله، وتذكيرهما بأن الله مطلع عليهما، بصير بأحوالهما، عالم بأعمالهما.

فعليهما أن يلتزما بتلك الأحكام حتى ينالا رضوان الله، وليحذرا المخالفة حتى لا يتعرضا لعذاب الله!! .

التشاور الخاص والعام في الآية ،

الشاهد في الآية أن الله قال: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ .

و«تشاور» في الآية مصدر. وفعله الماضي خماسي وهو «تشاوَرَ».

تقول: شار الرجل بكذا، أي: نصح بكذا.

وتقول: شاوَرَ الرجل أخاه بكذا، أي: التقيا وتدارسا، وكلُّ طلب من الآخر رأيه ومشورته.

ونقول: تشاوَرَ الرجلان في كذا. إذا تفاعلا مع التشاور أكثر.

التشاور بين الزوجين المتخاصمين يحقق المعنى اللغوي للشورى، وهي العرض والطرح من جانب، والأخذ والقبول من جانب آخر.

والتشاور بينهما بشأن إرضاع الطفل وطاقمه، بأن يجلسا ويتكلما، ويتناقشا ويتجادلا، ويقدم كل منهما خلاصة رأيه، وأجود وأفضل وأنفع ما عنده للطرف الآخر، وبعد ذلك يتفق الطرفان على ما فيه مصلحة الطفل، ويخرجان بنتيجة مريحة يرضيانها.

و«تشاور» في الآية معطوفة على «تراضي». فالشورى تحقق التراضي لكل منهما، والتشاور فيه التراضي.

ووجه ارتباط التشاور بالتراضي أن التشاور يدل على أن لكل منهما شخصية معنوية اعتبارية، وله رأي وكلمة عند الطرف الآخر، فهما جالسان يتحدثان ويتكلمان ويتناقشان ويتجادلان، وكل منهما يشعر بمنزلته ووجوده وشخصيته، وهو يطرح رأيه ويقدم ما عنده.

وبهذه الجلسة التشاورية لا يُغَيَّبُ أحد منهما، ولا يُغفل ولا يُهمش ولا يُترك، والإنسان لا يرضى أن يكون مهملاً نكرة متروكاً.

أي قرار أو حكم لا يكون بعد التشاور، لا يحقق التراضي، ولو كان قراراً صواباً، لأنه يُلغى اعتبار أو قيمة الطرف الآخر، وأي قرار أو حكم يكون بعد الاتفاق والتشاور يحقق التراضي بين الطرفين: «عن تراضٍ منهما وتشاور».

وهناك حكمة لطيفة نشير إليها وهي: أن الآية تقرر مبدأ التشاور بين الزوجين المتخاصمين بشأن موضوع خاص، وهو إرضاع وِفْطام طفل صغير، وذلك لأهمية الشورى في هذه المسألة الفرعية الخاصة، المتعلقة بطفل رضيع.

وهذا يدل على أهمية التشاور بين المسلمين في القضايا والأمور العامة، فإذا كان إرضاع طفل أو فطامه يحتاج إلى تشاور ورضا بين أبويه، فما بالك بأمور المسلمين الكلية العامة الهامة؟

ولهذا كم كان الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله فِطْناً وموفقاً عندما لاحظ الربط بين التشاور في المسألة الجزئية بشأن الطفل الرضيع، وبين المسائل العامة عند المسلمين! .

قال في تفسيره لهذه الآية: «إذا كان القرآن يرشدنا إلى المشاورة في أدنى أعمال تربية الولد، ولا يبيح لأحد والديه الاستبداد بذلك دون الآخر، فهل يبيح لرجل واحد أن يستبد بالامة كلها؟! - وأمر تربيتها وإقامة العدل فيها أعسر، ورحمة الأمراء أو الملوك دون رحمة الوالدين بالولد وأنقص!!»^(١).

المطلب الثالث

الشورى من أهم الصفات المميزة للأمة

كما يدل على أهمية الشورى في الإسلام، واهتمام القرآن بها، تسمية سورة من سور القرآن بها، والعجيب أن سورة «الشورى» مكية، وقد جاء وصف المسلمين في تلك السورة بالصفة المميزة لهم، وهي: «وأمرهم شورى بينهم».

جاء وصف المسلمين بأن أمرهم شورى بينهم في هذه السورة المكية، وهم مستضعفون في مكة، وقبل أن يُهاجروا إلى المدينة، وقبل أن يكون لهم دولة وكيان ونظام حكم.

(١) تفسير المنار، ٢/ ٤١٤.

وهذا دلالة على أهمية الشورى في حياة المسلمين، وعلى شمولها لكل جوانب حياة المسلمين، وعدم تخصيصها في الجانب السياسي أو الإداري أو الرسمي!

قال الله عز وجل: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٣٦-٤٣].

ذكرت هذه الآيات مجموعة متناسقة من صفات المؤمنين: «وذكر هذه الصفات المميزة لطابع الجماعة المسلمة، المختارة لقيادة البشرية، وإخراجها من ظلام الجاهلية إلى نور الإسلام، ذكرها في سورة مكية، وقبل أن تكون القيادة العملية في يدها فعلاً، جدير بالتأمل، فهي الصفات التي يجب أن تقوم أولاً، وأن تتحقق في الجماعة لكي تصبح بها صالحة للقيادة العملية..»

ومن ثم ينبغي أن نتدبرها طويلاً.. ما هي؟ ما حقيقتها؟ وما قيمتها في حياة البشرية جميعاً؟

إنها: الإيمان. والتوكل. واجتناب كبائر الإثم والفواحش، والمغفرة عند الغضب، والاستجابة لله، وإقامة الصلاة، والشورى الشاملة، والإنفاق بما رزق الله، والانتصار من البغي، والعفو.. والإصلاح. والصبر..^(١).

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ :

هذا من خصائص الجماعة المسلمة، وأبرز صفاتها، وقد ورد هذا في آية من سورة مكية «مما يوحي بأن وَضَعَ الشورى أعمق في حياة المسلمين من مجرد أن تكون نظاماً

(١) في ظلال القرآن، ٥: ٣١٦١.

سياسياً للدولة، فهو طابع أساسي للجماعة كلها، يقوم عليه أمرها كجماعة، ثم يتسرب من الجماعة إلى الدولة، بوصفها إفرازاً طبيعياً للجماعة..»^(١).

لطائف ودلالات من الآية،

عندما نمعن النظر في سياق قوله عن المؤمنين: «وأمرهم شورى بينهم» فسوف نخرج من ذلك ببعض اللطائف والدلالات. منها:

١- وصف المؤمنين في مكة بأن أمرهم شورى بينهم، وذلك قبل قيام مجتمعهم ودولتهم في المدينة دليل على أهمية الشورى لهم، وشمولها لجوانب حياتهم، وتأصلها صفة أساسية ركنية في كياناتهم.

٢- عبر القرآن عن تعاملهم على أساس الشورى بالجملة الاسمية «وأمرهم شورى بينهم» وهذا تأكيد للنقطة السابقة، ودليل على ثبات حقيقة الشورى ورسوخها واستقرارها عندهم، لأن الجملة الاسمية توحى بهذه المعاني.

٣- الشورى في حياة المسلمين عامة، شاملة لمختلف الميادين والمجالات والموضوعات، ودل على عمومها وشمولها كلمة «أمرهم» فهي نكرة، والتنكير يدل على العموم والشمول.

إن كل أمر يهم المسلمين يتعاملون معه بالشورى، وكل قضية تخصهم يفكرون بها على أساس الشورى، وكل جانب من جوانب حياتهم يعيشونه بالشورى، وكل مشكلة تواجههم يحلونها على أساس الشورى، وكل أزمة تمر بهم يتجاوزونها بالشورى.

٤- تنكير كلمة «شورى» في الآية: ﴿وَأْمُرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ يؤكد النقطة السابقة، ويشير إلى شمولها لكافة المجالات والميادين.

الشورى عند المسلمين في الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأخلاقية، والإدارية، والوظيفية، والمحلية، والدولية، والداخلية، والخارجية، والجماعية، والفردية، والأسرية، والشخصية.. أمرهم كله شورى بينهم..

(١) المرجع السابق، ٥: ٣١٦٠.

٥- وصف المؤمنين بالشورى ورد بين صفتين لهم، كل صفة منها عبادة: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ إن الصلاة عبادة، والإنفاق في سبيل الله عبادة، فما حكمة توسط الكلام عن الشورى بين هاتين العبادتين؟ .

لم توضع الشورى بين العبادتين مصادفة، وإنما لهدف مقصود وحكمة مرادة، لعلها الإشارة إلى شمول العبادة في الإسلام لكافة حياة المسلمين، وعدم قصرها على الشعائر التعبديّة كالصلاة والزكاة.

ولعل الحكمة في ذلك، التأكيد على أن «الشورى» عبادة، فكما أن المسلمين يعبدون ربهم في الصلاة، ويعبدون ربهم بإنفاق المال في سبيل الله، فهم كذلك يعبدون ربهم من خلال إقامة حياتهم ومجتمعهم ونظامهم على الشورى.

٦- عطفت الآية الصفات الثلاثة على صفة للمسلمين قبلها: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ . فالصلاة والشورى والزكاة معطوفة على الاستجابة.

وهذا يؤكد أن المسلمين مأمورون من ربهم بالشورى، كما أنهم مأمورون بالصلاة وبالزكاة، فهم عندما يُصَلُّون يستجيبون لربهم، وهم عندما يزكون يستجيبون لربهم، كذلك هم عندما يعيشون بالشورى يكونون مستجيبين لربهم! .

٧- قدمت الآية ممارسة المسلمين للشورى على إيتاء الزكاة، وذكرته بعد إقامتهم للصلاة مباشرة: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ .

إن من معاني الصلاة وإيجاءاتها المساواة بين المسلمين، فهم يقفون في الصلاة متساوين بدون تمييز ولا تكبر ولا استثناء، وذكر الشورى بعد الصلاة يوحي بهذا المعنى، فكما أنهم يتساوون في الصلاة، فلا بد أن يتساووا في الشورى، ولا يجوز أن يُجرم أحد من حقه في الشورى، لأنه لا يُجرم من الصلاة، وعلى الآخرين أن يسمعوا لرأيه في الشورى، ويساووه بهم كما يساوونه بهم في الصلاة: «الصلاة مظهر المساواة بين العباد في الصف

الواحد، رُكَّعاً سُجَّداً، لا يرتفع رأس على رأس، ولا تتقدم رجل على رجل.. ولعله من هذا الجانب أتبع إقامة الصلاة بصفة الشورى، قبل أن يذكر الزكاة..»^(١).

وأختم كلامي عن الشورى في سورة الشورى بتسجيل ما أورده سيد قطب في «الظلال» عنها:

«والتعبير يجعل أمرهم كله شورى، ليصبح الحياة كلها بهذه الصبغة، وهو كما قلنا نص مكّي، كان قبل قيام الدولة الإسلامية، فهذا الطابع إذن أعم وأشمل من الدولة في حياة المسلمين، إنه طابع الجماعة المسلمة في كل حالاتها، ولو كانت الدولة بمعناها الخاص لم تقم فيما بعد.

والواقع أن الدولة في الإسلام ليست سوى إفراز طبيعي للجماعة المسلمة وخصائصها الذاتية، والجماعة تتضمن الدولة، وتنهض وإياها بتحقيق المنهج الإسلامي وهيمنته على الحياة الفردية والجماعية.

ومن ثم كان طابع الشورى في الجماعة مبكراً، وكان مدلوله أوسع وأعمق من محيط الدولة وشؤون الحكم فيها، إنه طابع ذاتي للحياة الإسلامية، وسمة مميزة للجماعة المختارة لقيادة البشرية، وهي من ألزم صفات القيادة.

أما الشكل الذي تتم به الشورى فليس مصبوحاً في قالب حديدي، فهو متروك للصورة الملائمة لكل بيئة وزمان، لتحقيق ذلك الطابع في حياة الجماعة الإسلامية. والنظم الإسلامية ليست أشكالاً جامدة، وليست نصوصاً حرفية، إنما هي قبل كل شيء روح ينشأ عن استقرار حقيقة الإيمان في القلب، وتكيف الشعور والسلوك بهذه الحقيقة..»^(٢).

المطلب الرابع

أمر الرسول ﷺ بمشاورة المسلمين

أمر الله رسوله ﷺ بمشاورة المسلمين، وجاء هذا الأمر في آيات مدنية، تتحدث عن غزوة أحد، التي كان لها تأثير خاص على المسلمين، وكان للشورى فيها نتائج خطيرة على المسلمين.

(١) في ظلال القرآن، ٥: ٣١٦٥.

(٢) في ظلال القرآن، ٥: ٣١٦٥.

قال الله عز وجل: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿[آل عمران: ١٥٩].

أولاً، المعنى الإجمالي للآية،

يمتنُّ الله على نبيه ﷺ، ويُثني على أخلاقه العظيمة السمحة مع أصحابه، فالرسول ﷺ كان هيناً ليناً متواضعاً سمحاً رقيقاً مع المسلمين، وهذا اللين والرفق رحمة من الله، ولو لم يرحمه الله بتحسين أخلاقه لكان سيئ الخلق معهم.

ولين الرسول ﷺ مع أصحابه، جعلهم يحبونه أكثر، ويزدادون قرباً منه، ويجمعون عنده، ويوثقون صلته بهم. أما لو كان معهم فظاً شديداً قاسياً غليظ القلب صعب المعاملة، فإنهم سينفضون عنه، ويتخلون عنه، ويتعدون عنه، ويتركونه، لأن الناس لا يقبلون على فظ غليظ القلب.

ويوجه الله رسوله ﷺ إلى العفو عن المسلمين عندما يُخطئون، وأن يستغفر الله لهم، طالباً منه أن يتجاوز عن ذنوبهم وأخطائهم.

ويأمر الله رسوله ﷺ باستشارة المسلمين في أمورهم، بأن يعرض الأمر عليهم ويطلب منهم التفكير فيه، وتقديم آرائهم حوله، لينظر في هذه الآراء، ويأخذ المناسب منها.

وبعد ما يشاور الرسول ﷺ المسلمين في الأمر، وبعدما يأخذ بالرأي الأنسب، فعليه بأن يعزم على تنفيذ وإمضاء ما ارتآه، وأن لا يتردد في ذلك، وأن يتوكل على الله، ويُفوض أمره إليه.

ثانياً، الجو الذي نزلت فيه الآية،

هذه الآية مع آيات قبلها وبعدها، أنزلها الله في التعقيب على أحداث غزوة أحد، واستخلاص دروس ودلالات وعبر منها، وقد شاور الرسول ﷺ أصحابه قبل الخروج إلى ميدان المعركة، ونتج عن الشورى أحداث شديدة قاسية على المسلمين، فأنزل الله هذه الآية يؤكد فيها الأمر على رسوله ﷺ بالشورى.

وحتى ندرك أبعاد الآية وحقائقها وأهمية توجيهاتها، فعلينا أن نعيش «الجو» الذي نزلت فيه، وأن نستحضر ذلك الجو الذي عاشه الصحابة.

تحدث محمد بن إسحاق في السيرة عن خروج قريش لقتال المسلمين، في السنة الثالثة، فلما علم بهم رسول الله ﷺ جمع المسلمين، واستشارهم في الأمر.

وقبل أن يستشير رسول الله ﷺ أصحابه في أمر المعركة كان قد رأى رؤيا عجيبة، لها ارتباط مباشر بالمعركة.

رأى ﷺ بقرأ يُذبح، رأى في سيفه ثلثة - أي نقصاً - ورأى أنه أدخل يده في درع حصينة.

ولما قص رؤياه على الصحابة قالوا له: ما أولت الرؤيا يا رسول الله؟ .

قال: البقر الذي يُذبح هم ناس من أصحابي يُقتلون في المعركة. والثلثة التي في سيفي رجل من أهل بيتي يقتل. والدرع الحصينة هي المدينة.

وقد تحققت رؤيا الرسول ﷺ، لأن رؤيا الأنبياء حق، حيث استشهد سبعون من الصحابة، وجرح سبعون، وكان في مقدمة الشهداء عم الرسول ﷺ حمزة . وعاد الرسول ﷺ مع المسلمين إلى المدينة، ولم تحقق قريش أهدافها، مع ارتفاع الضحايا عند المسلمين.

ومع هذه الرؤيا فإن رسول الله ﷺ قد استشار أصحابه في مكان المعركة، هل يُقاتلون قريشاً في المدينة، أم يُقاتلونها خارج المدينة؟ .

وكان رأي الرسول ﷺ أن لا يخرجوا من المدينة، بل يتحصنون فيها، فإذا دخلت قريش المدينة، قاتلها المسلمون في الشوارع والحارات والأزقة.

وكان مع الرسول ﷺ على هذا الرأي مجموعة كبيرة من المسلمين، وكان هذا رأي عبدالله بن أبي زعيم المنافقين.

ولكن الأكثرية من المسلمين كان لهم رأي آخر، وبخاصة الذين لم يشتركوا في معركة بدر، فقد كان رأيهم الخروج خارج المدينة، وقاتل قريش بعيداً عنها.

قالوا للرسول ﷺ : يا رسول الله: اخرج بنا إلى أعدائنا، لئلا يروا أنا جَبْتًا وضعفنا عنهم.

وقال آخرون: يا رسول الله: أقم بالمدينة، ولا تخرج إلى قريش، فوالله ما خرجنا من المدينة إلى عدوٍ إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا عدو إلا أصبنا منه. فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس، وإن دخلوا علينا المدينة قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم.

وما زال أصحاب هذا الرأي بالرسول ﷺ حتى دخل بيته، ولبس «لأمتة» - درعه - وخرج على أصحابه الذين كانوا بانتظاره.

ولما رآه الذين أشاروا عليه بالخروج، تراجعوا عن رأيهم، وندموا عليه، وقالوا: أكرهنا رسول الله ﷺ على الخروج، ولا يحق لنا ذلك! .

ثم خاطبوا الرسول ﷺ قائلين: يا رسول الله: لقد استكرهناك على الخروج، فإن أحببت أن نمكث في المدينة فافعل! .

فقال لهم: «ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمتة أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه».

استعمل الرسول ﷺ على المدينة عبدالله ابن أم مكتوم ؓ، وخرج بألف من المسلمين، متوجهين إلى «أحد» لقتال قريش.

فلما كانوا في منتصف الطريق بين المدينة وأحد، انخزل عنهم زعيم المنافقين عبدالله ابن أبيّ، وأخذ معه ثلث الجيش.

وأعلن ابن أبيّ غضبه، وقال: محمد يعصيني، ويطيع هؤلاء الفتية، ما ندرى على ماذا نقتل أنفسنا أيها الناس؟ .

ولما أخذ ابن أبيّ معه حوالي ثلث الجيش، لحق بهم عبدالله بن حرام ؓ راجياً منهم أن يعودوا للمعركة وأن لا يتخلوا عن المسلمين، وقال لهم: يا قوم: أسألكم بالله أن لا تتخذوا نبيكم وقومكم، وأن لا تتخلوا عنهم عندما حضر عدوكم!! .

فردّوا عليه قائلين: لو نعلم أنكم ستقاتلون قريشاً لما أسلمناكم، ولكننا نرى أنه لن يكون قتال بينكم وبينهم! .

فلما لم يستجيبوا لعبدالله بن حرام رضي الله عنه، وأصروا على الانصراف، قال لهم ابن حرام: أبعدم الله يا أعداء الله، سوف يغنيننا الله عنكم.

واختلف الصحابة في الموقف من هؤلاء المنافقين المنصرفين: فقال بعض الصحابة: لا بد أن نقاتلهم لأنهم خذلونا. وقال آخرون: لا داعي لقاتلهم، فنحن خارجون لقتال قريش. فقال رضي الله عنه: «دعوهم إنها طيبة، تنفي الذنوب، كما تنفي النار خبث الفضة».

وأشار على الرسول صلى الله عليه وسلم بعض المسلمين أن يستعين باليهود في المدينة على قتال قريش في أحد. فأبى صلى الله عليه وسلم، وقال: «لا نستعين بالكافرين على المشركين»!!^(١).

وصل الجيش المجاهد إلى أحد، ووقعت المعركة، وانتصر المسلمون في الجولة الأولى منها، وانهمزت قريش، ونزل الرماة المجاهدون عن الجبل، ورأى المشركون تلك الثغرة على الجبل، والتفوا على المسلمين، ودارت الدائرة على المسلمين، ومرّت عليهم الساعات شديدة، وقذف الله في قلوب قريش الانصراف، وتركوا ميدان المعركة، وقدم المسلمون في المعركة سبعين شهيداً، وسبعين جريحاً، ودفنوا الثمن غالباً.

وأسعف الله المسلمين، وعالج آلامهم النفسية، فأنزل آيات من سورة آل عمران، تسجل بعض لقطات المعركة، وتستخلص منها الدروس والعبر، ومن الآيات هذه الآية التي تتحدث عن الشورى.

هذا هو الجو الذي نزلت فيه هذه الآية.

ثالثاً: نقض شبهات المنافقين حول الشورى،

استغلّ المنافقون الأحداث المفاجئة في غزوة أحد، وما نتج عنها من نتائج وآلام، وحملوا مسؤولية ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وصاروا يثيرون الشبهات ضد القيادة النبوية،

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ٣: ٦٦-٦٨.

واعتبروا أن استشارة النبي ﷺ هي السبب، وأنه لما خالف رأي عبدالله بن أبي وخرج إلى أحد فقد أخطأ، وأنهم لو لم يخرجوا إلى أحد لما حصل ما حصل.

وقد أنزل الله آيات من سورة آل عمران، تعالج أحداث غزوة أحد، وتعرض بعض شبهات واتهامات المنافقين، وتنقضها وتبطلها، وتؤكد على أهمية الشورى، وتوجب على النبي ﷺ ممارستها، وتأمره بمشاورة المسلمين في أمورهم.

من شبهات المنافقين وأقوالهم التي أوردتها الآيات، وتولت نقضها:

١- زعم المنافقون أنه ليس لهم شيء من الأمر، وأن النبي ﷺ ترك رأيهم وأخذ برأي المندفعين، وترد الآيات بأن الأمر في الحقيقة لله: ﴿وَمَا يَفْعَلُ قَدَّ أَهْمَتَهُمْ أَنْفُسَهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

٢- زعم المنافقون أن نتيجة الشورى التي أخذ بها النبي ﷺ كانت خطأ، وأن المسلمين الذي قُتلوا في المعركة، لو لم يخرجوا لما قُتلوا، وترد الآيات بأن الله أخرجهم ليُقتلوا في المعركة لانتهاه آجالهم: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

٣- زعم المنافقون أن المسلمين لو بقوا في المدينة لما قُتل منهم أحد، وترد الآيات عليهم بأنهم لا يعرفون قدر الله، ولا يستسلمون لأمر الله، ولذلك تمتلئ قلوبهم حسرة وهماً: ﴿يَتَأَيَّبُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

٤- زعم المنافقون أنهم لم يخرجوا مع المسلمين إلى ميدان المعركة احتجاجاً على نتيجة الشورى، ولأنه لن يكون في أحد قتال مع المشركين، وترد الآيات عليهم بأن هذا تمويه وإخفاء لنفاقهم، وأن سبب عدم خروجهم هو نفاقهم: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ

تَقَالُوا قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَدْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ
أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴿آل عمران: ١٦٧﴾.

٥- زعم المنافقون أن الرسول ﷺ لو أخذ برأيهم في الشورى، ولو أطاعهم وبقي في
المدينة، لما قُتل أحد من المسلمين، وترد الآيات عليهم بتحديثهم أن يدفعوا الموت عنهم
عندما تنتهي آجالهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ
أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿آل عمران: ١٦٨﴾.

٦- زعم المنافقون أن الذين قُتلوا في معركة أحد قد خسروا حياتهم، وأنهم ماتوا
دون أن يحققوا شيئاً، فترد الآيات عليهم بأن الشهداء لم يخسروا ولم يموتوا في الحقيقة،
وإنما هم أحياء عند ربهم يُرزقون: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ
عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿م﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿آل عمران: ١٦٩-١٧٠﴾.

في هذا الجواب، وفي سياق نقض وإبطال شبهات وإشاعات المنافقين عن الشورى،
أنزل الله آية تأمر النبي ﷺ باستشارة المسلمين في أمورهم: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

قال سيد قطب وهو يفسر هذه الآية: بهذا النص الجازم «وشاورهم في الأمر» يقرر
الإسلام هذا المبدأ في نظام الحكم، حتى ومحمد ﷺ هو الذي يتولاه، وهو نص قاطع، لا
يدع للأمة المسلمة شكاً في أن الشورى مبدأ أساسي، لا يقوم نظام الإسلام على سواه. أما
شكل الشورى، والوسيلة التي تتحقق بها، فهذه أمور قابلة للتحوير والتطوير، وفق
أوضاع الأمة، وملابسات حياتها، وكل شكل وكل وسيلة تتم بها حقيقة الشورى - لا
مظهرها - فهي من الإسلام.

لقد كان هذا النص عقب وقوع نتائج للشورى، تبدو في ظاهرها خطيرة مريرة! فقد
كان من جرائها - ظاهرياً - وقوع خلل في وحدة الصف المسلم! اختلفت الآراء، فرأت
مجموعة أن يبقى المسلمون في المدينة مُحْتَمِينَ بها، حتى إذا هاجمهم العدو قاتلوه على أفواه

الأزقة.. وتحتمست مجموعة أخرى فرأت الخروج للقاء المشركين، وكان من نتائج هذا الاختلاف ذلك الخلل في وحدة الصف.

ولم يكن رسول الله ﷺ يجهل النتائج الخطيرة التي تنتظر الصف المسلم من جراء الخروج، فلقد كان لديه الإرهاص من رؤياه الصادقة.. وكان من حقه أن يُلغي ما استقرّ عليه الأمر نتيجة الشورى، ولكنه أمضاها، وهو يدرك ما وراءها من الآلام والخسائر والتضحيات، لأن إقرار المبدأ، وتعليم الجماعة، وتربية الأمة، أكبر من الخسائر الوقتية.

ولقد كان من حق القيادة النبوية أن تنبذ مبدأ الشورى كله بعد المعركة، أمام ما أحدثته من انقسام في الصفوف في أخرج الظروف، وأمام النتائج المريرة التي انتهت إليها المعركة! ولكن الإسلام كان ينشئ أمة، ويربّيها، ويعدها لقيادة البشرية، وكان الله يعلم أن خير وسيلة لتربية الأمم وإعدادها للقيادة الراشدة أن تُربى بالشورى، وأن تُدرّب على حمل التبعة، وأن تخطئ - مهما يكن الخطأ جسيماً ذا نتائج مريرة - لتعرف كيف تصحح خطأها، وكيف تحتمل تبعات رأيها وتصرفها، فهي لا تتعلم الصواب إلا إذا زاولت الخطأ!! .

.. ولو كان وجود القيادة الراشدة يمنع الشورى، ويمنع تدريب الأمة عليها تدريباً عملياً واقعياً في أخطر الشؤون. لو كان وجود القيادة الراشدة في الأمة يكفي، ويسد مسد مزاولة الشورى في أخطر الشؤون، لكان وجود محمد ﷺ ومعه الوحي من الله سبحانه وتعالى، كافياً لحرمان الجماعة المسلمة يومها من حق الشورى.. ولكن وجود محمد ﷺ، ومعه الوحي الإلهي، ووقوع تلك الأحداث، ووجود تلك الملابس، لم يُلغ هذا الحق.

.. ومن هنا جاء هذا الأمر الإلهي، في هذا الوقت بالذات: «فاعف عنه واستغفر له وشاورهم في الأمر» ليقرر المبدأ في مواجهة أخطر الأخطار التي صاحبت استعماله، وليثبت هذا القرار في حياة الأمة المسلمة، أيّاً كانت الأخطار التي تقع في أثناء التطبيق، وليسقط الحجة الواهية التي تثار، لإبطال هذا المبدأ في حياة الأمة المسلمة، كلما نشأ عن استعماله بعض العواقب التي تبدو سيئة، ولو كان هو انقسام الصف، كما حدث في «أحد»، والعدو على الأبواب.. لأن وجود الأمة الراشدة مرهون بهذا المبدأ، ووجود الأمة الراشدة أكبر من كل خسارة أخرى في الطريق..

.. ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

إن مهمة الشورى هي تقليب أوجه الرأي، واختيار اتجاه من الاتجاهات المعروضة، فإذا انتهى الأمر إلى هذا الحد، انتهى دور الشورى وجاء دور التنفيذ، التنفيذ في عزم وحسم، وفي توكل على الله، يصل الأمر بقدر الله، ويدعه لمشيئته تصوغ العواقب كما تشاء. وكما ألقى النبي ﷺ درسه النبوي الرباني وهو يعلم الأمة الشورى، ويعلمها إبداء الرأي، واحتمال تبعته بتنفيذه، في أخطر الشؤون وأكبرها، كذلك ألقى عليها درسه الثاني في إمضاء بعض الشورى، وفي التوكل على الله، وإسلام النفس لقدره - على علم بمجره واتجاهه، فأمضى الأمر في الخروج، ودخل بيته، ولبس درعه ولأتمته - وهو يعلم إلى أين هو ماضي، وما الذي ينتظره ويتنظر الصحابة معه من الآم وتضحيات.

إنه أراد أن يعلمهم الدرس كله، درس الشورى، ثم العزم والمضي، مع التوكل على الله والاستسلام لقدره، وأن يُعلمهم أن للشورى وقتها، ولا مجال للتردد والتأرجح ومعاودة تقليب الرأي من جديد، فهذا مآله الشلل والسلبية والتأرجح الذي لا ينتهي..

إنها هو: رأي وشورى، وعزم ومضاء، وتوكل على الله، يحبه الله..^(١)

رابعاً: لطائف ودلالات من الآية:

نقف الآن وقفة تدبرية تحليلية، مع قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ونستخلص من هذه الآية أهم لطائفها ودلالاتها، مما يتصل بالشورى، والصلة بين الراعي والرعية، وأخلاقه الضرورية لقيادة الرعية.

١ - الآية خطاب لرسول الله ﷺ، وأمر له بمشاورة المسلمين في أمورهم، وأمر له بالعتف عنهم والاستغفار لهم، وتوجيهه له إلى العزم بعد الشورى متوكلاً على الله، وتبين أن

(١) في ظلال القرآن، ١: ٥٠١-٥٠٣ باختصار.

التزامه بذلك مع المسلمين لين منه لهم، يجعلهم يزدادون محبةً له وارتباطاً به، وإن لم يلتزم بذلك فإنهم سوف ينفضون عنه.

والخطاب في الآية يشمل كل إمام وخليفة وحاكم للمسلمين من بعده، والأوامر والتوجيهات في الآية موجهة لكل من ولي شيئاً من أمور المسلمين، سواء كان ولاية عامة، أو ولاية خاصة جزئية.

وعمّمنا الآية على ولاية الأمر وفق القاعدة المطردة في أصول التفسير: «خطاب الرسول ﷺ في القرآن خطاب لأُمَّته، ما لم يقم دليل على تخصيص الخطاب به وحده».

٢- ترشد الآية الحكام والخلفاء وولاية الأمر إلى مجموعة من الأخلاق الأساسية، وتوجب عليهم الاتصاف بها، ليُحسنوا قيادة الرعية، فإن تخلّوا عنها كانت قيادتهم شقاءً وخسارة.

من هذه الأخلاق: اللين مع الرعية. وترك الفظاظة وغلظ القلب. والاقتراب من الرعية. والعفو عنهم والاستغفار لهم ومشاورتهم في أمورهم. والعزم بعد مشاورتهم. والتوكل على الله.

هذه أخلاق ثمانية أساسية، ضرورية لكل حاكم، لتكون فترة حكمه للرعية سعادةً وخيراً وبركة.

٣- يمتنُّ الله على نبيه ﷺ بأنه من رحمته به جعله هيناً لينا مع المسلمين: «فبها رحمة من الله لنت لهم».

الله رحمه فجعل اللين واليسر والسماحة سجيةً فيه، ولو نزع الله منه هذا اللين، لرفع الرحمة عنه، وتحولت حياته إلى شقاء.

والله رحم به المسلمين، لما تعامل معهم باللين، وقادهم باليسر والسماحة.

وهكذا يكون الحاكم المرحوم الذي رحمه الله، ورحم به رعيته، فالله يرحمه بجعل اللين واليسر والرفق سجيةً له، ويرحم الرعية عندما يوفق الحاكم إلى قيادتهم بهذه السجية.

٤- ونقيض اللين والرفق هو الفظاظة والجلافة والغلظة، فإذا تعامل الحاكم مع الرعية بهذه الصفات فسوف يُشقيهم ويزعجهم ويشق عليهم، ويفسد حياتهم، ويقضي على حرياتهم ومواهبهم.

قد يظن حاكم أن تعامله مع الرعية باللين يجعله ضعيفاً أمامهم، ويُطمعهم فيه، ويظن أنه لن يفرض احترامه عليهم، ولن يضمن طاعتهم وخضوعهم، إلا بالشدّة والغلظة والفظاظة.

وهذا ظن خاطئ، إن اللين معهم لا يعني الضعف، فقد كان رسول الله ﷺ هيناً ليناً سميحاً ودوداً متواضعاً، وهذا من أسباب محبتهم له، وارتباطهم به، وطاعته وتنفيذ أوامره. لو لجأ الحاكم إلى الفظاظة والغلظة لكره الرعية به، وأدى إلى انصرافهم عنه، وانفضاضهم من حوله: «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك».

وعند ذلك سيلجأ هذا الحاكم إلى الاستبداد والشدّة بحجة عصيانهم له ونفورهم منه، وبذلك يُشقيهم ويشق عليهم! وهو السبب في ذلك وليسوا هم!! .

٥- يأمر الله رسوله ﷺ - وكل حاكم من بعده - بالعتو عن المسلمين، وهذا العفو من مظاهر اللين لهم والرحمة به: «فاعف عنهم».

إن الناس قد يُقَصِّرون وقد يضعفون، وقد يُخطئون ويعصون، وعلى الحاكم أن يكون رفيقاً بهم حريصاً عليهم، وأن يكون أكبر منهم قلباً، وأكثر منهم حليماً، فلا يحاسب على كل صغيرة، ولا ينسى أية إساءة، بل يتجاوز عن المسيء، ويعفو عن المخطئ، وبذلك يُربيهم، ويزيدهم محبةً وطاعةً له.

٦- بعد العفو عن الرعية يوجه الله الحاكم إلى الاستغفار لهم: «واستغفر لهم».

والاستغفار لهم بأن يدعو الله لهم، ويطلب منه سبحانه يتوب على المخطئين المقصرين، وأن يغفر لهم.

وهو يفعل ذلك بعدما عفا هو عنهم وسامحهم، واستغفاره لهم من مظاهر محبته لهم، وإشفاقه وحرصه عليهم، وهذا يوحي بأن الأصل في الحاكم أن يكون أكثر أفراد الرعية إيماناً وعبادةً وتقوى، وطاعةً لله، وإقبالاً عليه.

٧- مشاوره الحاكم للرعية لخلق عظيم منه، وهو مرتبط مع أخلاق عظيمة قبله، ولهذا ورد الأمر بالمشاورة في الآية، بعد أوامر سابقة: «فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم، واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر...».

الصفات الحميدة المذكورة في الآية على هذا الترتيب: اللين للرعية، عدم الفظاظة والغلظة، العفو عنهم، الاستغفار لهم، ثم المشاورة لهم.

فهو لا يشاورهم إلا إذا كان ليناً معهم، ليس غليظاً ولا فظاً، عفواً عنهم، مستغفراً لهم. فالشورى ثمرة لمحبتهم وحرصه عليهم، وإذا لم يشاورهم فلأنه لا يحبهم ولا يحرص عليهم!

٨- «شاورهم» فعل أمر. والأمر للوجوب - كما قال علماء الأصول والتفسير - وهذا معناه أن «الشورى» في النظام الإسلامي واجبة، وأن الحاكم مأمور بمشاورة الرعية، فإذا داوم على استشارتهم فقد نفذ الأمر وأدى الواجب. وإذا لم يشاورهم فهو آثم، لأنه مخالف لأمر الله، عاصي له.

إن الشورى واجبة، وليست مندوبة ولا نافلة ولا تطوعاً، وإذا ما شاور الحاكم الرعية فلا يمنٌ عليهم بذلك، ولا يعتبره تفضلاً وكرماً منه، لأنه بذلك ينفذ أمر الله، وينقذ نفسه من عذاب الله!

٩- الضمير «هُم» في فعل «شاورهم» يراد به المسلمون جميعاً، فعلى الإمام أن يشاور المسلمين، ولم تُخصص الآية ببعض المسلمين بالشورى دون بعض، كما لم تحدد كيفية استشارتهم.

من هم الذين يُشاورون؟ وكيف يُستشارون؟ وما هي الكيفية التي تنفذ بها الشورى؟

الآية لم تحدد هذا، وتركت كيفية ممارسة الشورى للأمة المسلمة، لأنها «شكل» أو ترتيب إجرائي، يختلف من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان، والمسلمون في الأمور الإجرائية الإدارية يختارون الأنسب لهم.

فقد تتحقق الشورى باستفتاء عام - صادق نزيه - وقد تتحقق بانتخاب ممثلين عن الأمة، يكونون أعضاء في مجلس للشورى، وقد تتحقق في أية صورة أخرى.

الآية لم تقيد المسلمين في ذلك بشيء، المهم هو المضمون، والإحسان في ممارسة الشورى، وتمكين المسلمين من مزاوله حقهم في الشورى

١٠- ما هي الأمور التي تصلح موضوعات للشورى؟ الآية تقول: «وشاورهم في الأمر». وجعلت «الأمر» عاماً، شاملاً للموضوعات والأمور التي تهم المسلمين.

أل التعريف في «الأمر» للاستغراق، فالكلمة تستغرق كل صورة الأمر الذي يهم المسلمين ومجالاته وألوانه.

الأمر الذي يشاور الإمام فيه الرعية، قد يكون له مضمون اقتصادي أو سياسي أو اجتماعي أو قانوني أو تعليمي أو إداري أو مالي أو جهادي أو دولي.

إن الله يعلم أن أمور المسلمين لا تسير إلا بالشورى، ولذلك أوجب على الإمام مشاورة الرعية في كل الأمور التي تهمهم.

١١- ندعو إلى الجمع بين الآيتين:

آية سورة الشورى، التي وصفت المسلمين بأنهم: «أمرهم شورى بينهم».

وآية سورة آل عمران التي أمرت الإمام باستشارة الرعية: «وشاورهم في الأمر».

إننا نرى تركيزاً في الآيتين على «الأمر» الذي هو موضوع الشورى، وتأكيداً على عمومته وشموله لكل ما يهم المسلمين من أمور.

لا يُستثنى من الأمر إلا ما كان حكماً من الله سبحانه، فالأحكام الشرعية التكليفية، المتمثلة في الأوامر والنواهي، والواجبات والمحرمات، هذه أمر الله المسلمين جميعاً - حكماً ومحكومين - بالالتزام بها، وعدم مخالفتها.

فهي ليست خاضعةً للشورى، ولا قابلة للأخذ والرد، أو القبول والرفض، أو التأييد والمعارضة.

ونرى ارتباطاً وثيقاً بين آية سورة الشورى المكية وآية سورة آل عمران المدنية، وكأنها تحدثان عن «مرحلتين»:

المرحلة الأولى: حياة المسلمين العامة فيما بينهم تقوم على الشورى، وعلى هذا آية سورة الشورى المكية: «وأمرهم شورى بينهم».

المرحلة الثانية: صلة المسلمين بالحاكم، وصلة الراعي بالرعية، تقوم أيضاً على الشورى، لأن الراعي من المسلمين، ولأن المسلمين هم الذين يُقرزون نظام الحكم على أساس الإسلام، ولهذا تنعكس الصفة الشورية العامة لهم على تلك الناحية الفردية الخاصة، وهي صلة الحاكم بهم، الذي هو مأمور بمشاورتهم: «وشاورهم في الأمر».

١٢- لا يجوز أن تقوم الشورى إلى الفوضى وانفلات الأمور، ولا يجوز أن يكون الحاكم المستشار ضعيفاً بحجة الشورى.

إن الحاكم يشاور الأمة في الأمر، ويستمتع منهم إلى وجهات النظر، ويقلب هو الأمر على وجوهه، وبعد ذلك يختار هو من الآراء ما يحقق مصلحة الأمة، ويرجح ذلك الرأي.

عند ذلك لا بد أن «يعزم» ويجزم، ويمضي ما رجّحه ويُنفذه، متوكلاً على الله: «وشاورهم في الأمر، فإذا عزم فتوكل على الله..».

الأمر موضوع الشورى عند الحاكم يمر بمرحلتين توحى بهما الآية:

المرحلة الأولى: مرحلة الشورى وسماع الآراء، والتفكير في وجهات النظر المعروضة، ومحاولة الخروج برأي: «وشاورهم في الأمر».

المرحلة الثانية: مرحلة «العزم» أي: اتخاذ قرار، اعتماداً على ما رجّحه الحاكم من الآراء التي أمامه، وفي هذه المرحلة لا بد للحاكم من الحزم والحسم والعزم والتنفيذ، فإن لم يفعل بقيت القضية عائمة مائعة رخوة منفلتة.

١٣- فعلا الأمر في الآية: «فاعف عنهم واستغفر لهم» لها دلالة هامة في موضوع الشورى.

فالإمام عندما يشاور الأمة، قد يسمع وجهات نظر متعارضة، وقد يخالفه ويعارضه بعض أفراد الرعية، وقد يقدم بعضهم رأياً آخر، مخالفاً لرأي الإمام، فما موقف الإمام من المعارضين أو المخالفين له؟ .

لا يجوز له أن «يُحاسِب» المخالف، ولا أن يعاقب المعارض، ولا أن يعتبر ذلك خروجاً عليه، أو تشكيكاً في طاعته له، بل على العكس، فالمطلوب من الحاكم أن يقدر المخالف ويحترم المعارض.

إن تقديم أحد الرعية لرأي يخالف رأي الحاكم، لا يجوز أن يقود إلى تغيير رأي الحاكم فيه، أو تغيير قلبه عليه، ويجب على الحاكم أن يبقى رقيقاً بالمعارض، لئناً معه، رحياً به، مستغفراً له، لأن هذا من لوازم الشورى، والكل حريص على مصلحة الأمة، سواء كان موافقاً لرأي الإمام، أو مخالفاً له. فالمسألة مسألة اختلاف آراء، وليست اختلاف قلوب، ولا تشكيكاً في الولاء.

لأجل إزالة ما قد يعلق بنفس الحاكم من غبش أو سوء بالنسبة إلى المخالفين والمعارضين تأمره الآية بالعتو عنهم والاستغفار لهم: «فاعف عنهم واستغفر لهم».

إن الإنسان لا يدعو إلا لمن يحب، ولا يستغفر إلا لمن يقدر ويحترم ويصادق، فدعوة الإمام إلى العفو عن المخالفين والاستغفار لهم، معناها أن يحبهم ويقدرهم ويحترمهم، وهذا لا يكون مع اتهامهم أو التشكيك في ولائهم!! .

١٤- الشورى بطرفيها - عبادة الله، حسب مفهوم العبادة الواسع الشامل في الإسلام، فالحاكم عندما يطلب المشورة يمارس العبادة لله، والمستشارون عندما يقدمون المشورة يمارسون العبادة لله، ويعملية الشورى تتحول الأمة كلها - حاكمها وأفرادها - إلى عابدين لله، وبهذا تكون الأمة قريبة من الله، متصلة بالله، تنال حبة الله، ويظللها رضوان الله: «إن الله يحب المتوكلين».

خامساً، نماذج من الشورى عند رسول الله ﷺ تطبيقاً منه للآية:

لقد أمر الله رسوله ﷺ بمشاورة المسلمين في أمورهم، كما لاحظنا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ .

ومن باب بيان التفسير العملي التطبيقي للأمر الرباني: «وشاورهم في الأمر»، نورد بعض النماذج الثابتة الصحيحة من السيرة النبوية، تثبت تطبيق وتنفيذ الرسول ﷺ لذلك الأمر الرباني.

وقبل أن نورد هذه النماذج العملية، نسجل ما أورده الإمام البخاري في صحيحه، من خلاصة رائعة لفقهاء الشورى في حياة الرسول ﷺ، وأصحابه من بعده.

أورد البخاري في باب قول الله «وشاورهم في الأمر» من كتاب الاعتصام، «تعليقاً» في ترجمة الباب، ما يلي:

«باب قول الله تعالى: «وأمرهم شورى بينهم»، وقوله: «وشاورهم في الأمر». وأن المشاورة قبل العزم والتبين، لقوله: «فإذا عزم فتوكل على الله»، فإذا عزم الرسول ﷺ، لم يكن لبشر التقدم على الله ورسوله.

وشاور النبي ﷺ أصحابه يوم أحد، في المقام والخروج، فأرأوا له الخروج، فلما لبس لأمته وعزم قالوا: أقم. فلم يميل إليهم بعد العزم، وقال: «لا ينبغي لنبى يلبس لأمته فيضعها، حتى يحكم الله».

وشاور علياً وأسامة فيما رمى به أهل الإفك عائشة فسمع منهما حتى نزل القرآن، فجلد الرامين، ولم يلتفت إلى تنازعهم، ولكن حكم بما أمره الله.

فكان الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأئمة من أهل العلم، في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضع الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره، اقتداءً بالنبي ﷺ.

ورأى أبو بكر قتال من منع الزكاة، فقال عمر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله، عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها وحسابهم على الله».

فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين ما جمع رسول الله ﷺ، ثم تابعه عمر بعد ذلك، فلم يلتفت أبو بكر إلى مشورة. إذ كان عنده حكم رسول الله ﷺ، في الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة، وأرادوا تبديل الدين وأحكامه، وقال النبي ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه».

وكان القراء أصحاب مشورة عمر، كهولاً وشباباً، وكان وقافاً عند كتاب الله عز وجل»^(١).

هذه الفقرات في «فقه الشورى» كما فهمها الإمام البخاري، تدل على أمور كثيرة، ويمكن أن يُستخرج منها كثير من الدروس والدلالات، وندعو إلى حسن تدبرها، وحسن استخراج دلالاتها ودروسها.

ونورد فيما يلي نماذج من استشارة الرسول ﷺ لأصحابه:

الاستشارة الأولى: استشارة الرسول ﷺ لأصحابه للخروج لأبي سفيان يوم بدر، أخرج الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ شاور - حين بلغه إقبال أبي سفيان - فتكلم أبو بكر، فأعرض عنه، ثم تكلم عمر، فأعرض عنه، فقام سعد ابن عباد، فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، فندب رسول الله ﷺ الناس، فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا..»^(٢).

ومعنى قول سعد بن عباد رضي الله عنه: لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها: لو أمرتنا أن ندخل خيولنا البحر، لتخوض فيه، لفعلنا.

ومعنى قوله: ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا: لو أمرتنا أن نركض بخيولنا مجاهدين حتى نصل بها إلى برك الغماد لفعلنا.

وبرك الغماد: اسم موضع على ساحل البحر باتجاه اليمن.

الاستشارة الثانية من الرسول ﷺ لأصحابه قبل معركة بدر:

استشار الرسول ﷺ الصحابة يوم بدر أكثر من مرة، فكانت الاستشارة الأولى لما علم بقدم أبي سفيان ومعه القافلة من الشام، فاستشار أصحابه للخروج إليها، فوافقوا على الخروج، كما ذكرنا في النقطة السابقة.

(١) صحيح البخاري: ٩٩ باب الاعتصام بالكتاب والسنة، ٢٨ باب قول الله تعالى: «وأمرهم شورى بينهم»، ترجمة الباب.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الجهاد، باب غزوة بدر، حديث رقم (١٧٧٩).

ونذب ﷺ الناس للخروج للقافلة، فخرجوا. ولما كانوا في الطريق علم رسول الله ﷺ بنجاة القافلة، وهرب أبي سفيان، بها، وعلم بخروج أبي جهل يقود جيش الكفار لقتال المسلمين.

استشار الرسول ﷺ أصحابه الخارجين معه الاستشارة الثانية:

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وهو يتحدث عن أحداث عزوة بدر: «.. وأتى رسول الله ﷺ الخبر عن قريش بمسيرهم، ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس، وأخبرهم عن قريش.

فقام أبو بكر الصديق ﷺ فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب ﷺ فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو ﷺ فقال: يا رسول الله: امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون»، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فدعا له رسول الله خيراً، ودعا له به.

ثم قال رسول الله ﷺ: «أشيروا علي أيها الناس».

وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عددُ الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: إنا براءٌ من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره، إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوِّ ليس في بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، قال سعد بن معاذ ﷺ: والله لكأنك تريدنا يا رسول

الله؟

قال: «أجل!» .

قال سعد: قد آمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا

رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لَصَبْرٌ في الحرب، صُدِّق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فسرّ بنا على بركة الله.

فترّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: «سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله كأنني أنظر إلى مصارع القوم...»^(١).

الاستشارة الثالثة: استشارة الرسول ﷺ في مكان معركة بدر:

قال الواقدي في المغازي: لما اقترب رسول الله ﷺ من مكان بدر، نزل منزلاً ثم قال: أشيروا عليّ في المنزل.

فقال الحُباب بن المنذر: يا رسول الله: أريت هذا المنزل، أم نزل أنزلك الله، فليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟

قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة».

قال: فإن هذا ليس بمنزل! انطلق بنا إلى أدنى ماء القوم، فإني عالم بها وبقلبيها، بها قلب قد عرفت عذوبة مائه، وماء كثير لا ينزح، ثم نبني عليها حوضاً، نقذف فيه الآنية، فنشرب ونقاتل، ونغور ما سواها من القلب.

فقال رسول الله ﷺ: «يا حُباب: أشرت بالرأي»^(٢).

فنهض ﷺ بالصحابة، ونزل في المكان الذي أشار به الحُباب، وكان هو الخير.

الاستشارة الرابعة: استشارة الرسول ﷺ في أسرى بدر:

«قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: لما أسر المسلمون الأسرى بعد بدر، قال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر وعمر وعليّ ما ترون في هؤلاء الأسرى؟».

فقال أبو بكر: يا نبي الله: هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام.

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ١: ٦١٤-٦١٥. ودلائل النبوة للبيهقي، ٣: ٣٢، ومجمع الزوائد، ٦: ٧٣.

وانظر صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلي: ١٦٧.

(٢) المغازي للواقدي، ١: ٥٣-٥٤.

فقال ﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب؟».

قال: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر. ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكّن علينا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكّني من فلان - نسيباً لعمر - فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها.

فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت. فلما كان من الغد، جئت، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يبكيان.

قلت يا رسول الله: أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما! .

فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض على أصحابك، من أخذهم الفداء، لقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة» - شجرة قريبة من رسول الله ﷺ - .

وقد أنزل الله عز وجل قوله: ﴿ مَا كَان لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ لَهُ حَتَّىٰ يُتَخَذَ فِي الْأَرْضِ تَرْيُوتَ عَرْضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِنَّمَا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٩].

فأحلّ الله الغنيمة لهم^(١).

إن استشارة الرسول ﷺ لأصحابه أربع مرات في معركة واحدة - معركة بدر - دليل على تغلغل الشورى في سيرته وحياته ﷺ، حيث كان يكثر منها تطبيقاً لأمر الله.

ونكتفي بهذه النماذج الأربعة الدالة، ولا نزيد عليها حتى لا نطيل^(٢).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة. حديث رقم: ١٧٦٣. وانظر صحيح السيرة النبوية: ١٨٦-١٨٧.

(٢) انظر بحث الدكتور همام سعيد «عرض الأحاديث النبوية المتعلقة بالشورى» من موسوعة الشورى في الإسلام، ١: ٨٥-١٠٧.